وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل(ط1): UN2801202323963735 86

رقم التسجيل(ط2): UN2801202323046061809

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر LMD، تخصص: دراسات لغوية

بعنوان:

ملامح التفسير البياني من خلال مفهوم التصوير الفني

لدى سيد قطب -سورة الضحى أنموذجا-

إعداد الطالبتين:

- صورية بن حليمة
- ريمة روباش

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	أحمد لعويجي	أستاذ	جامعة المسيلة	رئيسا
2	أمينة رقيق	أستاذ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	وهيبة بوشليق	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445/1444هـ.2024/2023م

الملّخص:

منذ نزول القرآن الكريم "أولى معجزات النّبوة"، وهو يتحدّى العرب رغم فصاحتهم وتفنّنهم في أساليب البيان، لذلك كان القرآن ولايزال محلّ بحث في أوجه إعجازه المختلفة لفظا أو معنى..، وتأتي هذه المذكرة لتسليط الضوء على أهم النظريات الحديثة التّي تبحث في إعجاز القرآن الكريم ، وهي "نظرية التّصوير الفني" عند سيّد قطب، حيث تمّ التركيز في هذا البحث عن ملامح التّفسير البياني التّي تضمّنتها هذه النّظرية ،والتّي مهدّت وساهمت في ظهور منهج التّفسير البياني الذّي عرف فيما بعد على يد الشّيخ أمين الخولي، الأستاذة عائشة عبد الرّحمن والدّكتور فاضل صالح السّامرائي...

الكلمات المفتاحية:

التّصوير الفني ،التّفسير البياني، الإعجاز القرآني.

Master's Thesis: Features of Interpretative Exegesis through the Artistic Imagery Theory of Sayyid Qutb: "Surah Ad-Duha as a Model"

Abstract:

Since the revelation of the Holy Quran, the "first miracle of prophethood," it has challenged the Arabs despite their eloquence and mastery of rhetorical styles. Therefore, the Quran has always been a subject of study in terms of its various miraculous aspects, whether in terms of words or meanings. This thesis aims to shed light on one of the most important modern theories that explore the miraculous nature of the Quran, which is Sayyid Qutb's "Artistic Imagery Theory." This research focuses on the features of interpretative exegesis encompassed by this theory, which paved the way for and contributed to the emergence of the interpretative exegesis methodology later known by Sheikh Amin Al-Khuli, Professor Aisha Abdul Rahman, and Dr. Fadel Saleh Al-Samarrai.

Keywords :

.Artistic imagery, interpretative exegesis, Quranic miracles

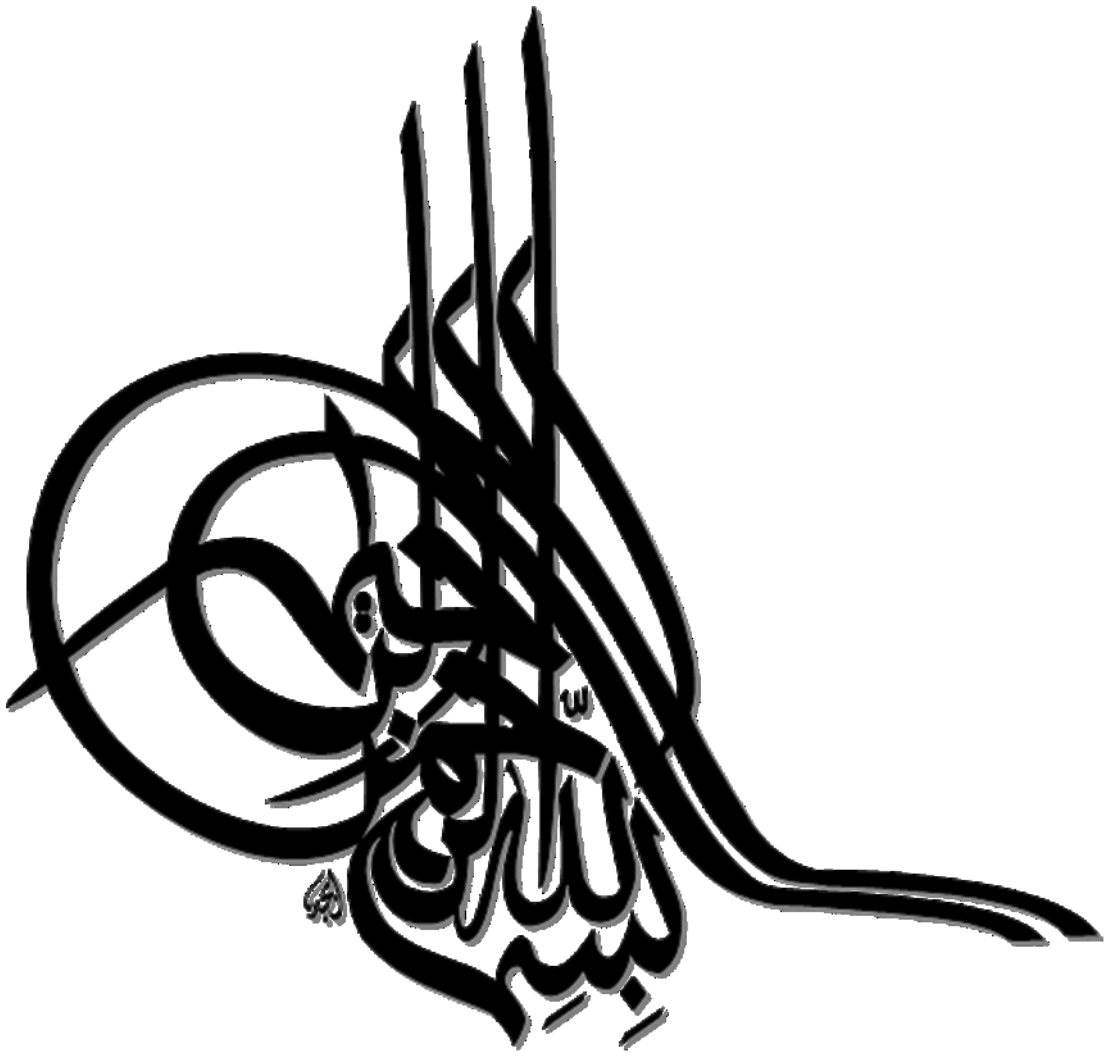
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الدّكتورة أمينة رقيق

مقدمة

لطالما قرأنا بشغف عن سحر القرآن و تأثيره في النّفوس خاصّة في البدايات الأولى لنزول الوحي على النّبي صلى الله عليه و سلّم و كيف استولى على مشاعر الكفّار الّذين كانوا يتسلّلون ليلا ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو يصلّي في بيته، و لا ينصرفون حتى يطلع الفجر...، و هذا الوليد بن المغيرة فيما يروى عن "ابن عباس" ، يسمع القرآن فيقول عنه: "إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه" ، ثم لا يؤمنون استكبارا وعزّة بالإثم، ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾، (سورة النمل،الأية 14)

هذا السّحر الذي استولى على القلوب وتغلغل إلى النّفوس وتملّك الألباب و العقول... جعل من القرآن معجزة خالدة، لا تنفك أسراره تنفد، ولا معين بيانه ينضب، شغل السّابقين و لايزال لحد اليوم يكشف عن عجائبه ووجوه إعجازه المختلفة . و في ظلّ الأبحاث اللغوية في مجال الإعجاز اللغوي ومقاربة " الخطاب القرآني " بعدّه مبحثا لسانيا حديثا، يسلّط الضّوء على جميع النواحي الصّوتية الصّرفية و التّركيبية بالإضافة إلى رصد معالم البلاغة العالية والأسلوب الفريد من خلال المستوى البلاغي، برزت عدّة دراسات، ولمعت الكثير من الأسماء التّي تهتم بدراسة النّص القرآني، أبرزها ما توصّل إليه "سيد قطب" من رؤية جديدة لأسلوب القرآن الكريم، قامت على أساس " فكرة التّصوير"، حيث رسم من خلالها المشاهد و الظّلال، و الصّور القرآنية ، و منحها الحياة الشّاخصة و الحركة المتجددة ...

كما حاول كثير ممّن عاصروه أو جاؤوا بعده تلمّس مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، فعملوا على تفسيره وفق المنهج البياني، فيما أُطلق عليه "التّفسير البياني"، وهو يقوم على تبيين أسرار التركيب القرآني فنياً، و يدرس أشكال التّعبير فيه على يد كلّ من الأعلام أمين

الخولي و عائشة عبد الرحمان " بنت الشاطئ " و فاضل صالح السامرائي، هذا الأخير الذّي أصّل لهذا المنهج ، وتميز بسمات جعلته قبلة للدّارسين.

إنّ هؤلاء الأعلام الذين كان القرآن الكريم الرّكيزةَ الأساسية التي قامت عليها بحوثهم، لم تفصلهم فوارق زمنية طويلة؛ ممّا جعلنا نتساءل: هل مهّدت نظرية التصوير الفني لظهور منهج التفسير البياني؟ ..

و ما هي الخصائص التي قامت عليها نظرية التصوير الفني، وفي المقابل ما المقصود بالتّفسير البياني وما هي المرتكزات التي بني عليها ؟

هذه التّساؤلات تحوّلت إلى رغبة ملّحة في البحث عن إجابات شافية، لاسيّما وأنّنا قد قرأنا لسيد قطب و أعجبنا بكتاباته، كما شاهدنا الحصص التي قدّمها الدّكتور فاضل صالح السامرائي على قناة الشّارقة بعنوان " لمسات بيانية" ووجدنا لها في النّفس استحسانا وقبولاً.

وتأتي أهمية بحثنا في كونه يدرس القرآن الكريم وأسرار بلاغته ، فأعظم به شرف، وأكرم بها من لغة. من أجل ذلك كان بحثنا: **"ملامح التّفسير البياني من خلال مفهوم التصوير الفني لدى سيد قطب– نماذج مختارة"**.

اعتمدنا فيه على المنهج الوصفي من أجل الإحاطة بمفهوم كل من التّصوير الفني، والتّفسير البياني و المرتكزات التّي يقوم عليها كل منهما، كما استعنا بالمنهج التاريخي في بيان المراحل التي مرّ بها الإعجاز القرآني.ووظفنا كذلك المنهج المقارن في تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بين نظرية التصوير الفني ومنهج التفسير البياني من خلال سورة الضحى.

وقد تضمّن بحثنا فصلين اثنين، فأمّا **الفصل الأول** ،فجاء نظريا بعنوان: محطات في البحث الإعجازي؛ قسمناه إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول تطرقنا فيه إلى تأريخ البحث في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم منذ نزول القرآن الكريم إلى يومنا هذا، فرغم المصطلحات التي

أطلقت على البحوث في النص القرآني إلا أنّ الهدف كان واحداً وهو الكشف عن إعجاز القرآن الكريم بلاغيا أو دلالياً أو تصويرياً، و ذكرنا أهم العلماء الذين اشتغلوا بدراسة النص القرآني ابتداءً من "ابن عباس" ومرورا على " مقاتل(ت 150هـ) ...الجاحظ (ت255هـ)" إلى الزمخشري(ت 538هـ) والجرجاني(ت 471هـ) وصولا إلى سيد قطب(ت 1966م) وأمين الخولي(ت 1966م) وبنت الشاطئ(ت 1988م) و فاضل صالح السامرائي(معاصر).

وفي المبحث الثّاني: ركّزنا على مفهوم نظرية التّصوير الفنّي عند سيد قطب، وأهم خصائصها عموما مع نماذج مختارة لشرح هذه النّظرية.

أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه: التفسير البياني مع الشّرح الوافي لقواعده و أدواته التي ينبغي استعمالها.

وفيما يخص **الفصل الثاني** فقد جاء فصلا تطبيقيا حاولنا فيه الإجابة عن تساؤلاتنا السابقة من خلال تقسيمه إلى:

المبحث الأول منه ركزنا فيه على خاصية التناسق الفني في التصوير الفني في القرآن الكريم، هذه الخاصيّة التي تقوم على أساس التّناسق في أسلوب القرآن الكريم من حيث الألفاظ و الجمل والتّراكيب، التّي نحسبها قد اهتمت باللّفظة القرآنية. وما تبعثه في النّفس من ظلال وما ترسمه في الخيال من صور، أو حتّى ما تلقيه في الأذن من جرس. خاصّة الأفق الثّاني الذي تقوم عليه هذه الخاصيّة وهو: استقلال اللّفظ برسم الصّورة ... وقد ضمناه نماذج متنوعة.

أما المبحث الثاني: فتناولنا فيه سورة الضّحى بين التّصوير الفني و التّفسير البياني، وفيه عرضنا تفسير كل من سيد قطب وفاضل صالح السامرائي لسورة الضّحى تحليلا و مقارنة لتأتي بعد ذلك الخاتمة كنتيجة لأهم ما تم استخلاصه من البحث.

ومن ثمّ فقد اعتمدنا على العديد من الكتب و الدّراسات أهمها: مؤلفات سيد قطب نخص منها بالذكر كتاب "التّصـــوير الفني في القرآن" ، وتفســـيره "في ظلال القرآن"، و كذا مؤلفات فاضل صالح فاضل صالح السامرائي: "في طريق التفسير البياني"، و"بلاغة الكلمة في القرآن" ..، بالإضافة إلى الكثير من المقالات و الدّراسات و الكتب التي عنيت بدراسة نظرية التّصوير الفني أو بمنهج التّفسير البياني.

ورغم كثرة المراجع إلا أنّنا وجدنا أنّ هذه الدّراســـات لم تبحث في العلاقة بينهما خلا بعض الإشارات البسيطة لذلك ، وهذا ما سبب عائقا بالنّسبة لنا هذا فضـلا عن كثرة الالتزامات، هذه بعض الأمور التي قد يكون لها بعض الأثر فيما تضمّنه البحث من هفوات ونقائص.

ولكن هذا لم يمنعنا من مواصلة البحث وإنجازه في محاولة منا لتسليط الضّوء على أهم ما توصّلت الدّراسات الحديثة في الإعجاز القرآني، وبذلك نفتح الباب لبحوث ودراسات جديدة في هذا الشّأن.

ويشـرّفنا في الأخير أن نتقدم بالشّـكر الجزيل لمشـرفتنا التّي كانت لنا خير سـند وعون، ولإطارات الجامعة أســـاتذة وإداريين ، ولكل من قدم يد العون و المســـاندة من قريب أو بعيد، ونسأل الله التّوفيق و السّداد.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

محطات في البحث الإعجازي

المبحث الأول: تاريخ البحث في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم

نزل القرآن الكريم أولى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواها في الدلالة على أنه رسول من عند الله، متحدياً العرب رغم فصاحتهم وتفننهم في أساليب البيان على أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، قال تعالى: ﴿ و إنْ كُنْتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.(البقرة، الأية2).

لقد أبهرت آيات القرآن الكريم جهابذة الفصاحة وأساطين البيان، وافتتن الشعراء والخطباء بحسن سبكه، وجلال معانيه، ولعلهم كانوا من أقدر النّاس على فهم معانيه رغم عجزهم عن الإتيان ولو بسورة واحدة أو آية واحدة، لذلك اعتبر القرآن الكريم معجزة.

وراحوا فيما بعد يفصلون في وجوه الإعجاز فيه كالإعجاز البياني، الإعجاز العلمي و الإعجاز العددي، وشهد صنوفاً من أنواع التفسير تبعاً لذلك، فاختلفت المصطلحات وتعددت المسميات وإن كانت كلها تصب في نفس المضمون وهو الكشف عن جوانب الإعجاز في القرآن الكريم لفظاً ومعنى ولا زال الباحثون والعلماء لحد الساعة يكشفون عن عجائب جديدة، ومعانٍ عظيمة حواها هذا الكتاب المعجز.

ونستطيع أن نقول أنّنا في الوقت الرّاهن " استطعنا الغوص في معاني القرآن الكريم بفضل جهود العلماء وبلغنا ما لم نبلغه قديماً، وهذا الأمر لم يكن ليتم لولا جهود السابقين الّتي تعد الأساس المتين الذي بنيت عليه إنجازات الباحثين في اللغة والنحو والبيان كأمثال "سيّد قطب"، و"أمين الخولي"، و"بنت الشاطئ"، و"فاضل صالح السامرائي".

ويمكن تقسيم هذه الجهود إلى مراحل حسب التسلسل الزمني بداية من نزول القرآن إلى غاية يومنا هذا:

1. مرحلة النشأة:

يرجع الاهتمام بالقرآن الكريم لفهم معانيه إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان الصحابة يستفسرونه عن بعض الكلمات أو العبارات الواردة فيه، ثم صار النّاس يسألون الصّحابة عمّا استشكل عليهم من آي القرآن.

وقد استعان الصّحابة بعد الرّسول صلى الله عليه وسلم، في توالي الأيام والتابعون من بعدهم بشعر العرب القديم الموروث من الجاهلية، والاستشهاد به في تفسير آيات القرآن ومعرفة معانيها، وفهم غرائبها التي تُشكل على عامة الناس، فقد ورد عن جلال الدين السيوطي قوله:« قال أبو بكر بن الأنباري: قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومُشْكِلِهِ بالشّعر، وأنكر جماعة لا علم لهم على النّحويين ذلك، وقالوا إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن، وهو مذموم في القرآن و الحديث؟ قال: وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للشعر، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال: ﴿ إنّا جعلناه قرآناً عربياً﴾ (سورة الزخرف، الأية 3) وقال:" بلسان عربي مُبين"».[1]

وقد برز من الصحابة: الصحابي الجليل، عبد الله بن عباس في العناية بتفسير القرآن وبيان غرائبه وإنشاد الأشعار لفهم معانيه، حتى سُمّي " بترجمان القرآن" وعُرف بـ" حبر الأمة" وكان يجلس في فناء الكعبة فيكتنفه الناس ليسألوه عن تفسير القرآن، وكان يقول:« إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشّعر، فإن الشعر ديوان العرب...» [2]

1. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،،مطبعة الباب الحلبي ،القاهرة1951،ط3،ج 1،ص35.
2. المرجع نفسه، ص55.

وتجدرُ الإشارة على أن ما نُقل عنه كان شفهياً، ولم تكن له أسس علمية هدفها وضع قواعد لتفسير القرآن إلى أن بدأ عصر التدوين من منتصف القرن الثالث للهجرة، وفيه تمّ جمع التراث العربي الإسلامي وتدوينه كاللّغة والتفسير والتاريخ وترجمة الفلسفة ونقلها من اليونانية إلى العربية، حيث تبرز محاولات تفسير القرآن في كتب مدونة يمكن الركون إليها على يد مجموعة من العلماء البارزين.

2. مرحلة التفسير في عصر التّدوين

ومن أشهر المفسرين في هذه المرحلة:

1.2. مقاتل بن سليمان (ت 150هـ):

هو أبو الحسن مقاتل بن بشير الأزدي البلخي، يعدّ من أعلام المفسرين، وهو صاحب التفسير المسمى تفسير مقاتل، ومن أشهر مؤلفاته: كتاب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، وقد اهتم بظاهرة تعدد دلالة الكلمات والعبارات في القرآن الكريم، وقام هذا الكتاب على منهج خاص بحيث يبرز تعدد الدلالات في اللفظ الواحد انطلاقاً من سياقاته المختلفة، حيث يقول:« لا يكون الرجل فقيهاً حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»[1]، فكلمة الموت مثلاً لها خمسة وجوه: الأربعة الأولى كلها معان فرعية كأن يشار بها إلى النطف الّتي لم تخلق بعد أو الضّال عن التوحيد،أو إلى جدوبة الأرض وقلة النبات أو ذهاب الروح عقوبة بغير أن يستوفوا الأرزاق، ثم يشير مقاتل إلى الوجه الأصلي بقوله: « الموت بعينيه ذهاب الروح بالآجال وهو الموت الذي لا يرجع صاحبه إلى الدنيا، فذلك قوله تعالى: ﴿ إنّك ميّت وإنّهم ميتون﴾ (سورة الزمر،الآية 30)، وقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (سورة الأنبياء،الآية 35)، وهذا الوجه الخامس هو المعنى المباشر أو الأصلي لكلمة الموت، أما باقي الوجوه فهي معان فرعية).[2]

---

[1]. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص141.

[2]. أبو زيد حامد نصر، الاتجاه العقلي في التفسير، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ط،5، 2003، ص53.

إذاً فقد تَعرض كتاب مقاتل لبعض الألفاظ والعبارات الواردة في القرآن الكريم محاولاً حصر وجوه المعاني، لذلك فالكتاب لم يستوف البحث الدلالي كاملاً ،وإن كان يعد خطوة أساسية فتحت المجال أمام الدراسات البيانية فيما بعد.

2.2. أبو زكريا يحي بن زياد الفراء (ت207هـ):

هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي عرف بالفراء، ولد بالكوفة سنة 144هـ.وهو من أشهر تلامذة الكسائي، ومن أهم مؤلفاته: معاني القرآن، وهو أول من تناول مسائل النحو ومصادر اللغة و فلسفة اللّغة العربية في هذا الكتاب.

اهتم الفرّاء بالقراءة، واعتبرها أصلاً علمياً في الدراسات القرآنية، فأراد بذلك تصحيح القراءة وضبط التلاوة لأن تحريف القراءة يؤدي إلى تحريف اللفظ ومعه المعنى.

ومن اللمسات البيانية في تفسيره، تبيانه لأسلوب الإضمار في قوله تعالى:

﴿ فأثرن به نقعاً﴾ (سورة العاديات، الأية 05) قال:«يريد به الوادي، ولم يذكر قبل ذلك وهو جائز، لأن الغبار لا يثارُ من موضع، وإن لم يذكر، وإذا عُرف اسم الشيء كُنِّيَ عنه وإن لم يجد له ذكرا».[1]

3.2. أبو عبيدة معمّر بن المثنى (ت215هـ):

هو أبو عبيدة معمر المثنى النّحوي تميم بن مرة، ولد ومات في البصرة، استخدمه هارون الرشيد، وكان واسع الإطلاع باللّغة والأدب والنّحو، كثير التأليف، وأشهر كتبه التي بحثت في البيان القرآني وأساليبه ومقارنته بالبيان العربي كتاب " مجاز القرآن".

فمجاز القرآن لأبي عبيدة أحد مظاهر نشاط العلماء في تلك الفترة واهتمامهم بالدراسات القرآنية، سعياً في الردّ على شكوك الطاغين، حيث نجد أنّ أبا عبيدة تناول في كتابه: طرق التعبير القرآني مع عرض مال العرب من فنون في التعبير، و بين أنّ لها مثيلاً، فكأنه يريد التدليل على عربية القرآن وفصاحته، وأنه لم يأت بجديد لم تألفه العرب في كلامها..."[2]

1. مصطفى الصاوي، مناهج في التفسير، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،ص54.
2. زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف، مصر، ط3، ص41.

وما ينبغي الإشارة إليه أن فكرة المجاز عنده لا تعني ضدّ الحقيقة، وإنما تؤدي معنى التفسير لا غير ذلك ، كما ورد الكاتب سلام زغلول:" بالانتقال من المعنى القريب أو التركيب المعهود للألفاظ والعبارات إلى معاني وتراكيب أخرى اقتضاها الكلام...".[1]

ومن أهم الأمثلة على ذلك ما يؤدي الانقلاب في مدلول الكلمة إلى ضدها، فقد ينقلب معنى وراء إلى قدام في قوله تعالى: ﴿ **مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ**﴾ (سورة إبراهيم ، الأية 16)٠ مجازه: أي تفسيره، قدامه وأمامه، يقال أنى الموت من ورائك أي قدامك.

أَتَوعِدُني وَراءَ بَني رِياحٍ كَذَبتَ لِتَقصُرَنَّ يَداكَ دوني

أي قدّام بني رياح.[2]

4.2. أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ (159هـ-255هـ)

ولد بالبصرة، يعد من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي الثاني، كان معتزلاً متكلماً بارزاً، جمع بين التفكير العلمي والحس الأدبي، من أهم كتبه في البيان القرآني " نظم القرآن"، "حجج النبوة"، "مسائل القرآن" وكان بارعاً في الردّ على منكري الإعجاز والنبوة من الملاحدة والزنادقة، ويذهب طه حسين إلى أن الجاحظ يعدّ مؤسس علم البيان العربي.[3]

والجاحظ صاحب نظرية في النَظم اعتمد فيها على التوافق بين اللفظ والمعنى، وذلك معنى البلاغة، ويقول: قال بعضهم وهو أحسن ما اجتبيناه، ودوناه ولا يكون الكلام بليغاً يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك[4]

هذه النظرية نفسها نظرية الَّنظم ناقشها فيما بعد الجرجاني وطبقها الزمخشري في تفسيره.

1. زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف، مصر، ط3، ص44.
2. أبو عبيدة بن المثنى محمد، مجاز القران، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط 1، 1954،ص337.
3. طه حسين، نقد النثر، المكتبة العلمية ،بيروت،1980 ، ص03.
4. الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق : فوزي عطوي، ج1 ،دار صعب،بيروت،ط1968،1ص81.

والجاحظ هو أول من استعمل المجاز للدلالة على جميع الصورة البيانية، والمعنى المقابل للحقيقة، فحينما يتحدث عن المجاز القرآني فإنه ينظر له في قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا» (النساء، الأية 10) ويعد هذا من باب المجاز والتشبيه.[1]

وبهذا يكون قد خالف من سبقه باعتبار المجاز مقابلاً للحقيقة لذلك عدّهُ طه حسين أول من تكلم في البيان.

5.2. عبد القاهر الجرجاني: (ت471هـ).

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، نسبة إلى جرجان (مدنية فارسية) وكان أشعريا شافعياً، متكلماً ونحوياً وفقيهاً ومفسراً وشاعراً ونحوياً بيانياً، له عدّة مصنفات " دلائل الإعجاز"، "أسرار البلاغة"، "الرسالة الشافية".

اهتم بفكرة الإعجاز واشتغل بها، فقد اعتبر أن المجاز القرآني من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وإليه تنسب نظرية النظم في القرآن، وهي نفس الفكرة التي أثارها الجاحظ من قبل، لكنه كان أكثر دقة في تحديد أبعاد هذه الفكرة، فهو يعتبر" أن القيمة البيانية للقرآن الكريم وإعجازه تتوقف في البحث عن النّظم بمعنى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجمل بعضها بسبب بعض"[2]، فلم يهتم بالكلمة المفردة إلا إذا كانت في سياق النظم، حيث يقول: إنه ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التآليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلام إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاّ بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة.[3]

إذاً فهو لا يعتبر الكلمة المفردة ذات شأن في قضية الإعجاز البياني، وعلى مثل هذا سار رواد المنهج البياني في التفسير كالزمخشري، وغيره.

1. الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق : فوزي عطوي، ج1 ،دار صعب،بيروت،ط1968،1ص25.
2. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده و محمد الشنقيطي، مطبعة المنار، القاهرة، ص57.
3. الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص57.

كما أن الشيخ محمد عبده صاحب دعوة التجديد في التفسير الحديث، اعتبر الجرجاني أكثر من تذوق البلاغة وقاربها بعلم النفس مما أتاح لأصحاب المنهج البياني الحديث أن يعتمدوا على كثير من الدراسات النفسية في تحليل النص القرآني، وفي هذا تقول بنت الشاطئ:" من لم يقرأ من كتب البلاغة إلاّ مثل السمرقندية وشرحي جوهر الفنون، وعقود الجمال فشرحي التخليص للسعد التفتازاني وحواشيها، لا يرجى أنْ يتذوق البلاغة طعماً أو يقيم للبيان وزناً، وإنما يُرجى هذا التذوق لمن قرأ أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز".[1]

ومما يؤاخذ عليه الجرجاني في مباحثه البلاغية، أنه قعد للبلاغة، ونظر لها مكتفياً من البيان القرآني في سياق الاستشهاد فقط، ولم يقدم دراسة قرآنية للإعجاز البلاغي حسب ما أوردته الكاتبة عائشة ع. الرحمان:" على أي حال نرى الجرجاني في دلائل الإعجاز قدم ملاحظ دقيقة مما لمحه من أسرار البلاغة ولم يقدم دراسة قرآنية للإعجاز البلاغي".[2]

هذه الجهود وهذه النظريات تبناها العلامة اللغوي الشهير " الزمخشري" ليؤسس لمرحلة جديدة في تأصيل التفسير البياني.

3.مرحلة بداية التأصيل للتفسير البياني:

1.3-أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (467-538هـ).

كان حنفياً معتزلياً مجاهراً باعتزاله، ويقول بخلق القرآن، إمام عصره في اللغة والنحو والبيان له مؤلفات هامة من أبرزها:" الكشاف عن حقائق التنزيل، ويعد ثروة في مادة التفسير البياني، وكتاب، "أساس البلاغة"، "معجم في اللغة العربية"، ""الفصل في النحو، "أطواق الذهب"...

سار الزمخشري على خطى سابقيه كالجاحظ والجرجاني فالتفسير البياني عندهم قصد الكشف عن الإعجاز البلاغي والرد على الخصوم والمشككين من الشعوبية والزنادقة، ورأى بأن نظرية

1. عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ،دارالمعارف، مصر،ص121.
2. المرجع نفسه، ص124.

النَظم تمثل ذروة ما وصلت إليه دراسة البلاغة العربية، ففزع إليها يتخذها سلاحاً في تفسير القرآن وبيان وجه الإعجاز فيه..."

ومن الآيات القرآنية التي وظّف فيها المجاز كوسيلة بيانية رائعة، قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ » (سورة المائدة الأية 64) فمعنى قول اليهود يد الله مغلولة، وصفه بالبخل، وقوله بل يداه مبسوطتان، تعبير مجازي، يدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطي بيديه جميعاً، فبُنِيَ المجاز على ذلك.[1]

ثم توالت الجهود وتعددت اتجاهات التفسير التي برزت في العصور المتأخرة واهتمت بلغة القرآن وبلاغته (الاتجاه الأدبي في التفسير) أو ما يسمى بمنهج التفسير الأدبي الذي بدأت إرهاصاته الأولى على يد الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا في تفسير "المنار" ثم ظهرت عدّة تفاسير طبقت هذا المنهج منها تفسير في ظلال القرآن" وكتاب" التصوير الفني في القرآن" لسيد قطب" ومن بعده أمين الخولي وتلميذته عائشة عبد الرحمان بتحديد المعالم وتأصيل الأسس للمنهج البياني، فدونت قواعده في كتابها" التفسير البياني للقرآن الكريم" وطبقت هذا المنهج على عدة سور قرآنية وبعد صدور هذا الكتاب ظهرت عدة دراسات أدبية وبلاغية للنص القرآني من أبرزها دراسات الدكتور فاضل فاضل صالح السامرائي، هذه الدراسات تنوعت وركزت على الجانب اللغوي والبلاغي والملحظ الأسلوبي في فهم القرآن لينتج تفسيراً بعنوان" على طريق التفسير البياني" وقد صدر منه إلى يومنا هذا أربعة أجزاء.

1. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف ،ج4،دارالكتاب العربي ، بيروت ، ص220 .

المبحث الثاني: التصوير الفني عند سيد قطب.

1.تعريف التصوير عامة:

قبل أن تتطرق إلى مفهوم التصوير الفني عند سيد قطب علينا أن نعرف أولا معنى الصورة والتصوير:

جاء في لسان العرب أن ابن الأثير قال:(الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته ، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته و الصورة في الشكل ، والجمع صور ، وقد صوره فتصور.[1]

وعن علاقة الصورة بالتعبير الحسي ، قال عنها الدكتور مصطفى ناصف في مقدمة كتابه الصورة الأدبية: «تستعمل كلمة الصورة عادة – للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات». [2]

أما التصور فهو «مرور الفكر بالصور الطبيعية التي سبق أن شاهدها الإنسان وانفعل بها ثم اختزنها في مخيلته، والتصوير هو إبراز هذه الصور إلى الخارج بشكل فني» [3] ، معنى ذلك أن اللغة أداة من أدوات التصوير توظف في رسم صورة فنية ، أو تعبر عن لوحة ساحرة، قد تعجز عن رسمها ريشة فنان أو مصور بارع ، تحقق للمبدع مقدرة تجسيد الأبعاد والمسافات من خلال الأحاسيس والمشاعر، فيستوعبها المتلقي ذهنيا عن طريق التخيل .

1. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب المحيط ، المجلد 4 ، دار الجيل ، بيروت ، ص 473.
2. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس ، بيروت ، ص 03.
3. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب دار الشهاب ، باتنة، الجزائر، ص 74 .

والتصوير في الأدب نتيجة لتعاون كل الحواس ، وكل الملكات والشاعر المصور حين يربط بين الأشياء يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية ، والصورة منهج فوق المنطق – لبيان حقائق الأشياء».[1]

2. مفهوم التصوير الفني عند سيد قطب :

من خلال هذه الإطلالة المستعجلة لمفهوم الصورة والتصوير بمعناه العام نكون ملزمين بالتطرق إلى مفهوم التصوير عند سيد قطب: إن نظرية التصوير الفني التي اكتشفها سيد قطب لم تكن وليدة خاطرة عابرة، أو فكرة ساذجة خطرت بباله أو مرت بخياله ثم تلاشت في عجالة ؛ إنها فكرة أصيلة متجذرة ونظرة عميقة ثاقبة تنم عن سعة إطلاع وحسن تدبير ،(واضحة الملامح ، بينة الخصائص ظاهرة السمات لها خصائصها وسماتها ، ولها طرقها وألوانها ، ولها أدواتها وآفاقها).[2]

فقد تحدث سيد قطب في كتابه " التصوير الفني في القرآن " عن جوهر هذه النظرية ، وعرف التصوير بقوله:(التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، و إذا النموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ، فأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة ، وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل ..) [3].

1. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس ،بيروت، ص 08.
2. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 129 .
3. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن،دار الشروق ،القاهرة ، 1993،من 36 .

فالتصوير حسب اعتقاده ويقينه أفضل أداة اعتمدها أسلوب القرآن ، وهذه الأداة ليست ألواناً تصور ولا شخوصا تعبر، إنما ألفاظ وكلمات لها أبعادها الدلالية ، فصورت المعنى الذهني بكل أبعاده الإيحائية والنفسية ، كما صورت الحادث المحسوس والمشهد المنظور والنموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، وبهذا تحقق الأداء لفظا ومعنى وتحققت أيضا العملية البلاغية المرجوة.

فالتصوير لا يقف عند حدود التعبير بالصورة ، ولكنه يرتقي بها فيمنحها الحياة الشاخصة ويبث فيها الحركة المتجددة ، وهو مع ذلك كله تصوير باللون ، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل ، بالإضافة إلى اشتراك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور ، ومن خلال ذلك الانسجام بين البنية الإيقاعية ، والبنية الصوتية مما يتولد عند الملتقي حسن التقبل والشعور بنشوة الراحة والاسترخاء الفكري ، فلا يجد صعوبة في الفهم ولا غموضا مبهما يعكر صفوه، ويسوق سيد قطب في كتابه " التصوير الفني في القرآن " عدة أمثلة يشرح فيها قوله ، ويبين من خلالها طريقة التصوير التي وردت في الآيات الكريمة، والتي نذكر منها:

1.2. خروج المعنى الذهني في صورة حسية:

يريد الله – عز و جل – أن يبين أن الكافرين لا يدخلون الجنة ، وأن رضى الله عنهم أو دخولهم إليها أمر مستحيل ، وهذا هو المعنى الذهني ، فيعرضه أسلوب التصوير في الصورة التالية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ (سورة الأعراف، الأية 40)

ولو عدنا إلى كتاب " في ظلال القرآن " في تفسيره هذه الآيات ، تجده يقول: و دونك فقف بتصورك ما تشاء أمام هذا المشهد العجيب ...، مشهد الجمل تجاه ثقب الإبرة فحين يفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل الكبير ، فانتظر حينئذ فقط أن تفتح أبواب السماء لهؤلاء المكذبين). [1]

1. سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الثالث ، دار الشروق ، القاهرة ،ط7 1978، ، ص 129 .

فهو إذا يدعك تشكل بخيالك صورة لتفتح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الجمل في سم الخياط ، و هو بذلك يخرج المعنى الذهني في صورة حسية.

2.2. تصوير المعاني المجردة والحالات النفسية والمعنوية:

يبين الله – عز وجل – مآل من يقيم بنيانه على غير التقوى ، و ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾.(سورة التوبة، الأية 109)

فهذه الآيات و إن كان مضمونها حالة معنوية تتصل بالعقيدة وأساس بنائها في قلب الإنسان فهي تحيلنا إلى صورة فنية رائعة، صورة قلقة متحركة تشد الأنظار إليها شدا ..." أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار " فيعبر بهذه الصورة : عن هشاشة الأساس و عدم سلامته و ضعف قوته بالجرف الهار الآيل للسقوط في أية لحظة ليكمل بعدها الحركة الأخيرة التي كانت متوقعة ، " فانهار به في نار جهنم " ، و بذلك طوى الحياة الدنيا كلها دون أن يذكر و لو كلمة " ثم " في موضع الفاء (فانهار)، فهذا المدى الطويل ما هو في الحقيقة إلا مدى قصير .

و الشيء ذاته يتوفر في تصوير " الحالات النفسية " ، فلو اعتمدنا كمثال تشخيص حالة العناد السخيف و المكابرة العمياء التي لا يجدي معها حجة ولا برهان ، فيبرز نموذجا إنسانيا في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السماء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (سورة الحجر، الأية 14-15)

فهو بذلك يدعك ترسم بخيالك صورة انفتاح باب السماء، و الناس فيه يعرجون، و أمامه الكفار مصرون على كفرهم وعنادهم يتعامون عن الحقيقة ، رغم أنها ماثلة أمام أعينهم ، فيدعون أنهم مسحورون ، و إنما هم في الحقيقة غارقون في الجهالة و الكفر حتى أضلهم الشيطان و أعمى بصائرهم .

و القرآن الكريم حافل بكثير من النماذج عن المعاني الذهنية و الحالات النفسية ، و النماذج الإنسانية التي يخرجها التعبير القرآني صورا شاخصة أو متحركة، و لا يقتصر على ذلك ،

بل يزخر كذلك بمشاهد الحوادث الواقعة والأمثال المضروبة ، والقصص المروية ومشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب ومشاهد الطبيعة التي كان التصوير الفني قاعدة أصيلة في التعبير عنها.

3- قصة سيد قطب مع القرآن الكريم:

لقد كان لسيد قطب نظرة متميزة للقرآن الكريم ، كما كان للقرآن وقع خاص في نفسيته ، فقد لمس فيه ذلك السحر الذي لمسه الصحابة – رضوان الله عليهم – في عهد البعثة المحمدية ، فاستحوذ على قلوبهم ، وانطبع على سلوكهم وحرك وجدانهم ومشاعرهم ، قال تعالى : ﴿ إِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.(سورة المائدة، الأية 83)

هذا التأثر لم يقتصر على المؤمنين فحسب، بل تعدى إلى الكافرين الذين شهدوا بسحره ، وأقروا بإعجازه العظيم ، إذ نجد الوليد بن المغيرة يقر بذلك ، وإن لم يتبع الرسول " صلى الله عليه وسلم " فيقول : "إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو ، وما يعلى ".

ويروي سيد قطب قصته مع القرآن الكريم ، وكيف استطاع من خلال تلك الصور الساذجة التي كان يرسمها له خياله الصغير في سن الطفولة حين كان يقرأ القرآن الكريم أو يسمعه ، استطاع أن يؤسس نظرية التّصوير الفنّي ، حيث يقول : (لقد كان خيالي الساذج الصّغير يجسّم لي بعض الصّور من خلال تعبير القرآن ، وإنها لصور ساذجة ، ولكنّها كانت تشوق نفسي وتلذّ حسّي، فأظل فترة أتملّاها وأنا بها فرح ولها نشيط ».[1]

ومن بين تلك الصور التي كان يرسمها له خياله تلك التي كان يجدها في قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ

1. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص : 07 .

تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(الأعراف، الأية 174ـ175)

فرغم صغر سنه وعدم مقدرته على إدراك المعنى العميق إلا أن خياله مكنه من أن يرسم لها صورة في مضمون هذه الآية ، فنجده يقول:« لكن صورة كانت تشخص في مخيّلتي ، صورة رجل فاغر قاه متدلي اللّسان يلهث ويلهث في غير انقطاع ، وأنا بإزائه لا أحول نظري عنه ، ولا أفهم لم يلهث ، ولا أجرؤ على الدّنو منه».[1]

فكان سيد أمام هذه الصّورة وصور أخرى يحسّ في نفسه لذة التّأمل ويشتاق قراءة القرآن من أجلها ، كما أنّه كان كثير التّنقيب والبحث عن هذه الصّور وهو في بداياته الأولى، وبعد أن كبر ودخل المعاهد العلمية ، وقرأ تفسير القرآن الكريم لم يجد في تلك الكتب اللّذة التّي كان يشعر بها ولا الجمال الذي كان يلمسه في صغره ، وهو يقرأ القرآن ، فما كان منه إلا أن عاد إلى القرآن يقرؤه من المصحف لا في كتب التّفسير ، فعادت إلى نفسه تلك اللّذة وجمال التّذوق ، يقول : « وعدت إلى القرآن أقرؤه في المصحف لا في كتب التفسير ، وعدت أجد قرآني الجميل الحبيب ، وأجد صوري المشوقة اللذيذة ، إنها ليست في سذاجتها التي كانت هناك ، لقد تغير فهمي فعدت الآن أجد مراميها وأغراضها ، وأعرف أنها مثل يضرب ، لا حادث يقع ولكن سحرها ما يزال ، وجاذبيتها ما تزال ... الحمد لله ، لقد وجدت القرآن».[2]

وكانت البداية بمقال كتبه" سيد قطب " في جريدة المقتطف سنة 1939 تحت عنوان " التصوير الفني في القرآن"، حيث تناول عدة صور من القرآن، وبين ما فيها من جمال فني، وقدرة الألفاظ على تصوير ما تعجز عن تصويره الريشة الملونة والعدسة المشخصة.

1. المصدر نفسه، ص: 08

2. نفس المصدر، ص : 08.

لكنه لا يواصل البحث بعدها رغم رغبته الملحة في تولي البحث والتوسع فيه ويعبر عن ذلك فيقول :« فتزداد فكرة البحث في نفسي رسوخا ثم تشغلني عنه الشواغل فيرتد أمنية في الضمير ورغبة في الشعور».[1]

إلى أن شاء الله له ذلك – بعد ست سنوات – فعكف على القرآن يجمع الصور الغنية الموجودة فيه ، و يبين طريقة التصوير فيها ، و ما اشتملت عليه من تناسق فني ، فقد ركز اهتمامه على الجانب الفني الخالص من غير التعرض إلى المباحث الأخرى المطروقة كاللغوية والكلاسيكية أو الفقهية، فانتهى به الأمر إلى حقيقة جديدة ، وهي أن التصوير قاعدة التعبير في القرآن ، و ليست جزءا منه حيث يقول:« إنها حقيقة جديدة تبرز لي أن الصور في القرآن الكريم ليست جزءا منه يختلف عن سائره، إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض – فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال – ، فليس البحث إذن عن صور تجمع و ترتب و لكن عن قاعدة تكشف وتبرز». [2]

و على أساس هذه القاعدة ألف سيد قطب كتابه " في ظلال القرآن الذي تميز عن باقي التفاسير الأخرى وتصدرها جميعا.

إن اكتشاف سيد قطب لنظرية التصوير الفني لم يكن بمحض الصدفة ، بل إن الموهبة التصويرية التي حباه الله بها و القرية التي عاش فيها – و ما حوته من مناظر ساحرة وطبيعة خلابة – كان لها الأثر الكبير في بلورة هذه النظرية ، فقد كان صاحب خيال واسع لا يمر عليه المشهد إلا و قد تملاه وأمعن النظر فيه و راح يتخيله و يرسم أبعاده و شخوصه ،« فلقد كان سيد قطب صاحب نفسية متخيلة حالمة يؤثر الهدوء والسكون ، ويكره الضجة و الزحام ، و يفضل أن يعيش ساعات من يومه مع خيالاته وتطلعاته و أحلامه»[3]

1.سيد قطب التصوير الفني في القرآن ،ص8.

2. المصدر نفسه، ص8.

3. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص : 59 .

و بهذا الخيال تمكن سيد قطب من الدخول إلى علم الجمال الفني للقرآن ، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من ذوق جمالي ، فقد كان خصب القريحة ، مولعا بالجمال يحس به ، و يتذوقه فيما حوله و قد ساعدته في ذلك بيئته الجميلة التي عاش فيها و أسرته الهادئة المتدينة على تهذيبه و تنميته ،و كذا حفظه المبكر للقرآن الكريم.

كما ساعده في ذلك ممارسته للنقد في بداية حياته الأدبية و بقي يترقى في عالم النقد الأدبي حتى غدا في أواسط الأربعينيات الناقد الأول في مصر والعالم العربي، فقد تزود بزاد عظيم من المعرفة و الثقافة التي أضافها إلى موهبته الفطرية وآرائه القيمة وذوقه السليم ، وشاعريته الصادقة وحسه المرهف « فحمل سيد قطب هذا الرصيد النقدي الضخم ، و ذلك الحس النقدي المرهف و دخل إلى عالم القرآن الكريم ليتذوق جماله الفني، و يدرس أساليبه البليغة في البيان و يتحسس مواطن الحس و منابع السحر في تعبيره الجميل، ويدرك بعض أسرار الإعجاز التي اشتمل عليها».[1]

المبحث الثالث: التفسير البياني

1-مفهوم البيان:

1. المرجع نفسه، ص:67.

من أهم التعاريف نجد تعريف الخطيب القزويني (ت739هـ)، والذي يقول فيه:« علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ودلالة اللفظ، إما على ما وضع له، أو على غيره».[1]

وعليه فعلم البيان هو أحد علوم البلاغة، والذي يعنى بالبحث في طرق وكيفيات تأدية المعنى في حلل مختلفة الصور والأشكال لكل منها مميزاته فقد تمتاز بالإبداع والجمال، وقد تتصف بالغموض والاضمحلال.

ويلخص السيوطي (ت 911هـ) تعريف البيان وأقسامه في أبيات شعرية قائلاً فيها:[2]

علم البيان هو مـــا به عرف إيراد معنى واحد بالمختلف

من طرق في الإيضاح مكملة فاللفظ إن دل على الموضوع له.

فسمهـــــــــا دلالة وضعية أو جزئه أو خارج عقلية

وإنمـــــــا يختلف الإيراد في عقلية وليس في تلك يفي

ومـــا به أريد لازم وقد قامت قرينة على إن لم يرد

مجاز أوّلاً كتـــــابة وقد بني على التشبيه أول ورد

ومن هنا فإن تعريف السيوطي(ت911هـ) لعلم البيان لا يختلف عن تعريف القزويني، إذ اتفق كلاهما على أن البيان علم يبحث في إيراد المعنى الواحد بصور مختلفة، ويشير السيوطي إلى أصناف الدلالات، مقسماً إياها إلى دلالة وضعية، وتتحقق باستعمال اللفظ فيما وضع له، ودلالة عقلية تتحقق باستعمال اللفظ في غير ما وضع له مع وجود قرينة، ثم ذكر

1. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،تح:محمد عبدالمنعم خفاجي،دارالجيل، بيروت ،لبنان ،ط2، ص4.

2. السيوطي، شرح العقود الجمان في المعاني والبيان،تح:محمد الحمداني، أمين لقمان ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان ،2011، ص191.

الاحتمالات البيانية التي بها يختلف إيراد المعنى وضوحاً وغموضاً، وهي المجاز، والكناية، والتشبيه، وكل هذا الاختلاف يكون على مستوى الدلالة العقلية.

ومن التعاريف أيضاً أنه:«علم يبحث عن كيفيات تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح دلالتها، وتختلف في صورها وأشكالها، وما تتصف به من إبداع وجمال أو قبح وابتذال».[1]

وبهذا يكون علم البيان كفيلا ببحث جماليات إيراد المعنى في صور وقوالب فتارة عن طريق المجاز، وأخرى عن طريق الاستعارة ومرة عن طريق التشبيه، ولا ننسى الكناية في هذا.

2-التفسير البياني

"التفسير" لغةً: من فسر الشيء فسْراً، بمعنى وضحهُ، و(التفسير)، بمعنى الشرح والبيان. وتفسير القرآن: من العلوم الإسلامية، يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم، وأحكام.

ويعرف منهج التفسير بأنه: الطريقة التي يسلكها مفسر كتاب الله عز وجل على وفق خطوات مرتبة يسير عليها للوصول إلى تحقيق تفسير الكتاب وفقاً لمجموعة من الأفكار يعنى بتطبيقها، وإبرازها من خلال تفسيره.

1.2. التعريف بمنهج التفسير البياني:

يعرف منهج التفسير البياني بأنه: « التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية

1. عبدالرحمان حبنكة الميداني البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق،الدار الشامية ،بيروت ، لبنان،1996، ص136.

كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير. [1]

أو هو« تفسير بلاغي يركز على دقة اختيار القرآن الكريم الكلمة دون غيرها ضمن السياق الخاص (الجملة)، وعلى دقة اختياره الجملة دون غيرها ضمن السياق العام (السورة)، ويحاول استجلاء الرهافة في التعبير ومكمن الهدف المقصود، والإيحاء الذي تشع به تلك الكلمة أو الجملة ضمن السياق الذي وردت فيه، وعدم قدرة كلمات أو جمل أخرى غيرها اقتناص ذاك الإيحاء التعبيري الكاشف»[2]

وقد وصف المحقق جعفر السبحاني هذا المنهج بقوله :«ولا شك أنه نمط بديع بين التفاسير، إذ لا يماثل شيئاً مما ألف في القرون الماضية من زمن الطبري إلى العصر الأخير الذي عرف فيه تفسير الإمام عبده وتفسير المراغي، فهذا النمط لا يشابه التفاسير السابقة، غير أنه لون من التفسير الموضوعي أولاً، وتفسير القرآن بالقرآن ثانياً.

والنقطة البارزة في هذا النمط هو استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده في الكتاب. وبعبارة أخرى: يهتم المفسر في فهم لغة القرآن بالتتبع في جميع صيغ هذا اللفظ الوارد في القرآن الكريم ثم يخرج من ضم بعض إلى بعض بحقيقة المعنى اللغوي الأصيل، وهو لا يترك هذا العمل حتى في أوضح الألفاظ.

2.2. قواعد المنهج البياني:

ويمكن أن نلخص القواعد التي يقوم عليها هذا المنهج بما يأتي:[3]

1. فاضل صالح السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ج1، ص7.
2. الشيخ علي آل موسى ،التدبر الموضوعي في القرآن الكريم دار كميل،لبنان، ص97.
3. فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1/ص8.

- ينطلق هذا المنهج من الفهم الموضوعي للقرآن الكريم، إذ يبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.
- كما يعتني هذا المنهج في فهم ما حول النص، ويراد بما حول النص ترتيب الآيات بحسب النزول المعرفة الظروف والأحوال التي نزلت فيها الآيات، كما يستأنس بروايات أسباب النزول علماً بأن العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.
- أما في فهم دلالات الألفاظ فمنهج التفسير البياني يؤمن بأن العربية هي لغة القرآن، فيلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، ثم يستخلص الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.
- وفي فهم أسرار التعبير القرآني يحتكم هذا المنهج إلى سياق النص القرآني ويعرض عليه أقوال المفسرين فيقبل منها ما يقبله النص، ويتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من المدسوس والإسرائيليات وشوائب الأهواء المذهبية، ويدع التأويل.
- كما يحتكم إلى القرآن الكريم نفسه في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية، ليعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين لا العكس، إذ يعد هذا المنهج القرآن الكريم هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه وهو النص الموثوق الذي لم تشبه من أي سبيل أدنى شائبة مما تعرضت له النصوص الفصحى من تحريف أو وضع، ثم إنه ليس بموضع الضرورة كالشواهد الشعرية، ليجوز عليه ما يجوز عليها من تأويل.

نخلص من ذلك أن هذا المنهج" هو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، ويؤخذ اللفظ والآية فيه، مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية".[1]

3. أدوات المفسر البياني:

1. عائشة عبدالرحمن ،التفسير البياني للقرآن الكريم ، ص17،18.

إن الذي يتصدى للتفسير البياني يحتاج إلى ما يحتاج إليه أي مفسر، إلا أنه بحاجة أكثر إلى التبحر فيما يأتي:[1]

- علوم اللغة العربية وهي علم اللغة وعلم التصريف وعلم النحو وعلوم البلاغة، فلا تغني المعرفة اليسيرة بل ينبغي للمفسر البياني أن يكون على اطلاع واسع في هذه العلوم.

ورد في البرهان: «وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين».[2]

وجاء في الإتقان أن المفسر يحتاج إلى التبحر في لسان العرب واللغة والنحو والتصريف. [3]

- كما يحتاج المفسر البياني إلى علم القراءات الّتي في ضوئها يترجح بعض الوجوه على بعض، فقد تدل القراءتان أو القراءات على كمال البلاغة وتمامها، فمن ذلك على سبيل المثال قراءة (مالك يوم الدين) وقراءة (ملك يوم الدين) فقد جمع له سبحانه وتعالى بالقراءتين الحكم والتملك؛ وذلك لأن (مالك) من التملك، و(الملك) هو الحكم الأعلى فجمع الله تعالى لنفسه كمال الأمرين، ولا يمكن أن يكون ذلك بقراءة واحدة، فنزلت مرتين بالقراءتين فجمعت المعنيين.

ولقد أشار ابن الجزري إلى فائدة اختلاف القراءات القرآنية بقوله:« وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك غير ما قدمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إلية تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كل يصدق بعضه بعضاً

1. فاضل صالح السامرائي ،على طريق التفسير البياني، ص8-14.
2. محمد بن عبد الله الزركشي ،البرهان في علوم القرآن،ت أبو الفضل الدمياطي،دار الحديث،القاهرة،2006، ص165.
3. جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، ص170-172.

ويبين بعضه بعضاً ويشهد بعضه البعض على نمط واحد وأسلوب واحد. وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق ما جاء به صلى الله عليه وسلم».[1]

- ومن الدلائل المهمة على فهم المعنى القرآني معرفة أسباب النزول، فيها تعرف الكثير من الأمور التي قد يصعب فهمها لولاها، ويقصد بأسباب النزول «ذكر كل ما يتصل بنزول الآيات القرآنية (آية أو جزء منها أو عدة آيات أو سور) من القضايا والحوادث، سواء في ذلك قضايا المكان أو حوادث الزمان، التي صاحبت نزول القرآن الكريم أو أعقبته».[2]
- ومن الأمور اللّازمة للمفسر البياني النّظر في السّياق القرآني، ففيه تتضح كثير من الأمور ويتضح سبب اختيار لفظة على أخرى وتعبير على آخر ويتضح سبب التّقديم والتّأخير والذكر والحذف ومعاني الألفاظ المشتركة، فهو من أهم القرائن التي تدل على المعنى القرآني.
- مراجعة المواضع القرآنية التي ورد فيها التعبير مشابهاً للتعبير المراد تفسيره وتبيينه لاستخلاص المعنى المقصود.
- مراجعة المواضع القرآنية التي وردت فيها المفردة المراد تفسيرها مكررة واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها.
- معرفة خصوصيات الاستعمال القرآني كاستعمال الريح للشر والرياح للخير والغيث للخير والمطر للشر والعيون لعيون الماء والصوم للصمت والصيام للعبادة المعروفة وغير ذلك.
- أن ينظر المفسر البياني إلى الوقف والابتداء وأثر ذلك في الدلالة والتوسع أو التقيد في المعنى وما إلى ذلك.
- أن يتنبأ إلى أي تغير في المفردة والعبارة وإن كان في نظره غير ذي بال فإنه ذو بال، فإن وجد تعليلاً وإلا فسيأتي من ييسر الله له تعليله وتفسيره، كالإبدال في المفردة نحو (يطهر) و (يتطهر) و (يذكر) و (يتذكّر) ، والذكر والحذف نحو (يستطع) و (يسطع)، وتغير

1. ابن الجزري ،النشر في القراءات العشر ، 52/1.

2. محمود الرحبي ،بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم،،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،2010 ،ص134.

الصيغة نحو (مغفرة) و (غفران) و(نخل) و(نخيل)، والإدغام والفك نحو (من يرتد) و (من يرتدد) وما إلى ذلك.

- ومن أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار ويهديه إلى معان جديدة وفهم القرآن الكريم هو إدامة التأمل والتدبر ، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالتدبر في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد، الأية 24)، وقال: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (سورة محمد ، الأية 29).

ويتحدث فاضل صالح فاضل صالح السامرائي عن تجربته في تدبر كتاب الله قائلاً: « وكلما أمعنت في التدبر فتح الله عليك من كنوز المعرفة وعجائب الأسرار ما لم يكن منك على بال والتدبر والتفكر في كتاب الله وأسرار تعبيره من ألزم الأمور للقارئ والمفسر وهما للمفسر ألزم فأدم التدبر والتفكر فيما استعصى أمره ولا تمل من ذلك، وافعل ذلك مرة ومرتين وثلاثاً وأربعاً وعشراً وعاود ذلك فإنه سيفتح الله عليك ويبصرك مالم تبصره وقد مرت بي مسائل لم أهتد إلى حلها على كثرة التدبر والتأمل حتى كدت أيأس من وصولي إلى حل لها فإذا بي وقد انقدح في ذهني ما يزيل الإشكال ويثلج الفؤاد» [1]

- الاطلاع على جملة من أشهر التفاسير القديمة والنظر في كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز وكتب المتشابه وتناسب الآيات والسور وما إلى ذلك مما كُتِبَ في أسرار التعبير القرآني فإن فيها أسراراً بيانية وفنية بالغة الرفعة.

وأساس ذلك كله (الموهبة)، فإنها أساس كل علم وفن وصنعة، فبقدر ما أوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفن، ولا يمكن الاعتماد على الموهبة وحدها بل عليه أن ينميها ويصقلها بكثرة الاطلاع والنظر والتدقيق والتأمل.

4. رواد منهج التفسير البياني:

1. فاضل صالح السامراني، على طريق التفسير البياني، ج1، ص 13.

1.4-الشيخ أمين الخولي (ت: 1966م)

يُعد أمين الخولي أول من ابتكر منهج التفسير البياني، وذلك في كتابه (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب الذي أكملت مسيرته الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها الموسوم (التفسير البياني للقرآن الكريم).

وللشيخ الخولي رأي مميز في تفسير القرآن، فهو يدعو إلى تفسير القرآن الكريم نفسياً وأدبياً؛ لأنه يعده كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذي خلد العربية، وحمى كيانها، وخلد معها، فصار فخرها وزينة تراثها. [1]

2.4 . الدكتورة عائشة عبد الرحمن (ت: 1998م)

تعد عائشة عبد الرحمن من النساء المعاصرات اللائي أسهمن في الأدب العربي والفكر الاجتماعي، فهي تهتم في تفسيرها بالبيان العربي، وكما تذكر في مقدمة كتابها التفسير البياني للقرآن الكريم أنها اهتدت إلى هذه الطريقة لمعالجة مشكلاتنا في حياتنا الأدبية واللغوية ".

كما اعتنت عائشة عبد الرحمن بقضية الإعجاز القرآني، وقد تحدثت عنها قائلة: «وقد شغلتني قضية الإعجاز البياني دون أن أتجه إليه قصداً، فأثناء انشغالي بالتفسير البياني والدراسات القرآنية، تجلّى لي من أسراره الباهرة ما لفتني إلى موقف العرب من المعجزة القرآنية في عصر المبعث، ووجهني إلى محاولة منهجية في فهم عجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، وقد تحداهم والعربية لغته ولغتهم والبيان طوع ألسنتهم، وهم بلا ريب قد أدركوا من أسرار إعجاز البيان ما أيأسهم من محاولة الإتيان بلفظ يقوم مقام اللفظ فيه، أو أن يأتوا بآية على غير الوجه الذي جاءت به في البيان المعجز» [2]

3.4. فاضل صالح فاضل صالح السامرائي :

1. حسن سعيد، مشاعل في القمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص298.

2. عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ص11-12.

وهو أحد كبار أساتذة اللغة والنحو المعاصرين في العراق، عرف بكثرة دراساته القرآنية البلاغية، وتعد هذه المؤلفات من أبرز ما كتب في عصرنا الحاضر، وآخرها وثمرتها كتابه في التفسير الذي سماه على طريق التفسير البياني الذي صدر منه أربعة أجزاء لحد الآن، وهو ثمرة سلسلة من الدراسات البلاغية القرآنية التي قدمها من قبل أما على شكل محاضرات جامعية أو برامج تلفازية طبعت فيما بعد على شكل كتب.

الفصل الثاني

ملامح التفسير البياني من خلال

خاصية التناسق الفني

المبحث الأول: ملامح التفسير البياني من خلال التّناسق الفني للقرآن الكريم عند سيد قطب

نظرية التصوير الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب نظرية واضحة الملامح بينة الخصائص، ظاهرة السمات لها أدواتها وآفاقها، مما يدل بوضوح على ريادته لهذه النظرية، وأنه هو الذي أقام الدعائم التي قامت عليها.

والخصائص التي تميزت بها تمثلت في:

- التخييل الحسي.
- التجسيم الفني.
- التناسق الفني وآفاقه.
- الحياة الشاخصة.
- الحركة المتجددة.

ولعل أغلب الدّراسات ركزت في مفهوم التّصوير الفني في القرآن عند خاصيتي: التخييل والتجسيم، ولم ينصب الاهتمام على أهم خاصية نحسب أنها مهدت لتفسير القرآن بيانياً وهي خاصية" التناسق الفني"، والأداة التي وظّفها سيد قطب لتصوير المشاهد المختلفة والمتمثلة عنده في حسن اختيار وتوظيف الجزيئات وانطلاقاً من الألفاظ والعبارات مروراً بالمشاهد والأساليب الصوتية وصولاً إلى السياق العام.

ولتحقيق هذا التصوير لا بد أن تتضافر كل الوسائل اللّغوية تضافراً معجزاً ذا آفاق فنية وجمالية ودلالية فهو" تصوير باللون و تصوير بالحركة و تصوير بالتخييل و تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات و نغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصّور تتملاها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان.[1]

1. سيد قطب ،التصوير الفني في القرآن، ص36.

وإذا كان فاضل صالح السامرائي قد عرف التفسير البياني بقوله: (هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والحذف، واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير...) [1] فإن المتمعن في آفاق التناسق الفني ليجد صدى لهذا المعنى وإن اختلفت المصطلحات والمسميات.

1. التناسق الفني:

وهو ثالث سمة من سمات التصوير الفني، كما أنه لا يقل أهمية عن السّمتين السّالفتين التخييل والتجسيم "، والتناسق الفني يبلغ الذروة في أسلوب القرآن الكريم ، وهو أسلوب متناسق من حيث الألفاظ والجمل والتراكيب ، ومتناسق الصور والظلال وكذا الإيقاعات والموسيقى ، وهو ما يحسه كل قارئ للقرآن بدرجات متفاوتة ويجد أثره في نفسه وحسه ، وكما بلغ التّناسق الفني الذروة في أسلوب القرآن ، فإنه قد بلغ الذروة في تصوير القرآن الكريم وهو الذي قصده سيد قطب في كتابه " التصوير الفني في القرآن " ، وإن تطرق بشكل مختصر إلى ألوان التناسق في القرآن ، والتي أشار إليها السابقون والمتمثلة في:

- التنسيق في تأليف العبارات ، بتخير الألفاظ ثم نظمهما في نسق خاص.
- الإيقاع الموسيقي الناشئ من الألفاظ المنظومة في النسق الخاص ، ولكنهم تحدثوا عن الإيقاع الموسيقي الظاهري فقط.
- النكات البلاغية التي تضمنها الأسلوب القرآني بأن يكون التعقيب في الآية متناسبا مع سياقها أو يعبر بالاسم الموصول لتكون جملة الصلة بيانا لعلة الجزاء، مثل قوله سبحانه وتعالى: «إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ (سورة الأعراف ، الأية 40)

1. فاضل صالح فاضل صالح السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1/ص07.

- التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات ، والتناسب في الانتقال من غرض إلى آخر وإظهار التناسق في أغراض الآيات وفي الصورة الواحدة.
- التناسق الفني بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص والخطوات النفسية التي تصاحبها، هذه هي ألوان التناسق في تعبير القرآن ، ومع أنها خصائص قيمة فإنها لا تزال أولى مظاهر التناسق التي يلمحها الباحث ، وإن وراءها آفاقا أخرى لم يتطرق إليها الدارسون فيها عدا ظاهرة الإيقاع الموسيقي، الذي هو أحد هذه الآفاق العالية، والتي اهتدى إليها سيد قطب بعد اكتشافه لنظرية التصوير الفني، حيث يقول:" ولما كان التصوير في القرآن مسألة لم يعرضوا لها قط بوصفها أساسا للتعبير القرآني جملة، فقد بقي التناسق الفني في هذا التصوير بعيدا عن آفاق بحثهم بطبيعة الحال وإذا كان قصدنا من هذا الكتاب هو أن نستعرض الآفاق الجديدة، و أن لا نكرر الاتجاهات التي اهتدى إليها الباحثون ...."[1]، وإن كان سيد قطب قد تحدث عن هذه الألوان، وضرب لها الأمثلة.

1.1. آفاق التّناسق الفني في القرآن:

إن الحديث عن أوجه التناسق الفني في التصوير القرآني عند سيد قطب حديث عن أجمل وأبدع وسائل التعبير في القرآن ، لذلك فقد عدها – سيد قطب – قمما متدرجة شامخة في التناسق الفني المعجز في الصورة القرآنية .

الأفق الأول : تناسق التعبير مع المضمون:

ويقصد به أن :" المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها ، فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية والمعنوية ، وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير ، والتعبير للتصوير". [2]

1.سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص : 79

2. المرجع نفسه، ص:90.

و مثال ذلك قوله الله سبحانه وتعالى: ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾.(سورة الأنفال، الأية 22)

فكلمة الدواب جاءت متناسقة مع الحالة المصورة ، وهي تجسيم للحالة التي تمنعهم من الانتفاع بالهدى بوصفهم " الصم البكم " وبهاتين الصفتين فقد أكملتا صورتا الغفلة والحيوانية التي يعيشونها والتي يريد رسمها لهؤلاء الذين لا يؤمنون ، فهم لا يعقلون فكيف يؤمنون ؟ «ولفظ الدواب ، يشمل الناس فيما يشمل، فهم يدبون على الأرض ولكن استعماله يكثر في الدواب من الأنعام.[1]

فلفظة الدّواب في هذه المعنى مختارة بدقة وعناية فهي تطلق عموماً على كل من يدّب من حيوان أو إنسان، ولم يقل: إن شر الناس، رغم أنهم المقصود في الآية، واستعمل لفظة الدّواب، للدلالة على أن الإنسان قد كرمه الله بالعقل فإذا لم يعمله ولم يستمع لنداء الحق فهو أقرب ما يكون للحيوان.

الأفق الثاني: استقلال اللفظ برسم الصورة:

وهذا اللون من التناسق لم يعرف في غير التعبير القرآني، حيث (يشتغل لفظ واحد – لا عبارة كاملة – برسم صورة شاخصة، لا بمجرد مساعدة على إكمال معالم الصورة). [2]

واللفظ المفرد يستقل برسم الصّورة على ثلاثة أوضاع ،(تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظّل جميعا).[3]هذا الأفق من أهم الآفاق التي تحمل معنى التفسير البياني، لأنه يهتم باللفظة المفرد، والمعنى الدقيق الذي تؤديه، وهو ما يسميه سيد قطب بالظل الذي يلقيه في الخيال.

1. سيد قطب في ظلال القرآن، ج3، ص:149.
2. المرجع نفسه، ص:91.
3. المرجع نفسه، ص:91.

فيستقل اللفظ برسم الصورة بالجرس الذي يلقيه في الأذن ، ونجد ذلك في كلمة " اثّاقلتم " في قوله تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُم انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، اِثّاقَلْتُم إِلَى الْأَرْضِ ﴾.(سورة التوبة، الأية 38).

وكلمة "اثّاقلتم" استقلت برسم صورة شاخصة واضحة المعالم "هذه جرس الكلمة وإيقاعها يوحي أن في هذه الكلمة " طنا " على الأقل من الأثقال".[1]

ففي هذه الكلمة جرسٌ يتصور من خلاله الخيال ذلك الجسم المتثاقل الذي يحاول مع الرافعين لرفعه من الأرض، لكنه يسقط من أيديهم في ثقل.

استعمل القرآن لفظة" اثّاقلتم" ولم يقل " تثاقلتم" وهنا يقول سيد قطب: ولو أنك قلت تثاقلتم لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل برسمها.[2]

فلفظة: اثّاقلتم، أدق في معناها من لفظة تثاقلتم وهو الرّفض القاطع لتلبية نداء الجهاد قولاً وفعلاً، فبعضنا قد يضمر الرفض لبعض الأوامر، لكنه يفعلها، فلا تظهر سريرة نفسه.

ورغم أن سيد قطب لم يسترسل في توضيح هذا المعنى لاهتمامه برسم الصورة التي ترسمها هذه الكلمة، إلا أنه أشار إلى المعنى الذي تحمله.

وهذا ما نجده عند فاضل صالح السامرائي في كتابه" بلاغة الكلمة" في فصل" الذكر والحذف في كلمات القرآن حيث يقول:" قد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة نحو (استطاعوا) و(اسطاعوا)، و(تتنزل)، و(تنزل) (وتتوفاهم) (وتوفاهم) و(لم يكن) و (لم يك) وما إلى ذلك، وكل ذلك لغرض وليس اعتباطيا، فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل كلمة، بل كل حرف إنما وضع لقصد.[3]

1. سيد قطب في ظلال القرآن، ج3، ص:93.

2.سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 81

3. فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة ، ص 9

أما الصورة التي يستقل اللفظ المفرد برسمها بظله الذي يلقيه فيه الخيال ، فللألفاظ كما للعبارات ظلال خاصة يلحظها الحس البصير ، مثال ذلك قوله سبحانه وتعالى:« فأصبح في المدينة خَائفًا يترقب فَإِذَا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قَالَ له موسى إنك لغوي مبين»(القصص، الأية 18)، فلفظة " يترقب" ترسم هيئة الحذر المتلفت ، والقلق المتوجس وهو الظل الذي ألقته هذه الكلمة.

وهنا اعتبر سيد قطب كلمة "يترقب " قد أوحت إلينا بمعنى الإنسان الخائف الذي يتلفت يميناً وشمالاً ينتظر من يباغته بالقتل كما جعلنا نتخيل هذه الصورة.

أما النوع الثالث الذي يشترك فيها الجرس والظل في لفظ واحد نجده في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يوم يُدَّعون إلى نار جهنّم دعَا﴾ (سورة الطور، الأية 13)، فلفظ الدَّع يصور مدلوله بجرسه وظله، فالظل في تصوير المدلول الذي هو الدفع في الظاهر بعنف ، (وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتا غير إرادي فيه " عين ساكنة " هكذا " أع " وهو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس " الدع" »[1]، هنا ركز سيد قطب على الجانب الدلالي و الجانب الصوتي على كلمة يدّعون.

الأفق الثالث: التقابل بين صورتين حاضرتين.

التقابل طريقة من طرق التصوير القرآني ، والتعبير القرآني يكثر من استخدامها في تنسيق صوره التي يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق، ومن ذلك الصورتين اللتين يعرضهما السياق القرآني لإماتة الأحياء وإحياء الموتى في قوله تعالى: ﴿ أو لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الْقُرُونِ يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات أفلا يسمعون، أو لم يروا أن نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة ، الأية 26–27)

1. سيد قطب التصوير الفني في القرآن، ص95.

فالتقابل حاصل بين حالتين حاضرتين : قرى مدمرة بعد عمرانها وأرض حية بعد إجدابها(ففي ومضة عين نقلهم من القرى المهلكة بعد الحياة والعمران إلى الأرض الحية الممرعة بعد الموت والإجداب). [1]

في هذا الأفق وضح كيف تنتظم الألفاظ في نسق دقيق و مختار بعناية لتؤدي معنى: إماتة الأحياء وإحياء الموتى.

الأفق الرابع: التقابل بين الصورتين ماضية وحاضرة.

وهو نوع آخر يكون " بين صورتين إحداهما حاضرة في الآن ، والأخرى ماضية في الزّمان حيث يعمل الخيال في استحضار الصورة الأخيرة ليقابلها بالصورة المنظورة". [2]

ومثال ذلك قوله: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشمال في سموم وحميم، وظل من يحموم،لا بارد ولا كريم، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ (الواقعة، الأية 41ـ45)

الصّورة الحاضرة هي صورة أصحاب الشّمال وهم في نار جهنم في سموم وحميم ، وتقابلها الصّورة الماضية صورتهم وهم في الدّنيا يعيشون مترفين معززين مكرمين ، وبين هاتين الصّورتين أمد بعيد، إن لفظة مترفين قد قابلت هنا صورة كاملة مستقبلية ، جعلتنا نتخيل تمتع أصحاب الشّمال في الدنيا بكل ملذاتها في الحاضر ثم ترسم أمام أعيننا صورتهم وهم يعذبون في نار جهنم.

الأفق الخامس: تناسق الإيقاع الموسيقي في الصورة

إن اللغة العربية لغة موسيقية (ولأن القرآن الكريم إعجاز بياني متمثلا في الأسلوب الفني، فلا بد من أن يوجد فيه الإيقاع الموسيقي المعجز)[3]، فالقرآن الكريم مكون من جمل

1. سيد قطب التصوير الفني في القرآن، ص97.
2. المرجع نفسه، ص : 97.
3. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص : 97.

وألفاظ وتراكيب ومفردات عربية، وأسلوب القرآن الكريم أسلوب فني معجز، والذي يستلزم بالضرورة وجود إيقاع موسيقي معجز.

والإيقاع الموسيقي في القرآن إيقاع جذاب ويشكل ظاهرة عامة وشاملة، فمن خلال التلاوة نشعر بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه (ويبرز بروزا واضحا في السور القصار والفواصل السريعة ومواضيع التصوير والتشخيص بصفة عامة، و يتوارى قليلا أو كثيرا في السور الطوال)[1]، وهو إيقاع موسيقي متناسق متزن في القرآن الكريم وهو ألوان:

- أن يكون إيقاعا موسيقيا ينتج عن(فواصل متساوية في الوزن تقريبا، على نظام الشعر العربي متحدة في حروف التقفية تماما ذات إيقاع موسيقي واحد)[2]، ومنه ينبغي انتقاءالألفاظ وفقا لهذا الإيقاع، بحيث أن أي تغيير أو حذف يؤدي إلى تأثر الإيقاع.

ففي قوله سبحانه تعالى في سورة النجم : ﴿ والنّجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم ، وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ إلى قوله﴿ أفرأيتم اللات والعزى وَمَنَاةُ الثَّالِثَةَ الأخرى﴾ (سورة النجم، الأية 1،22).

والإيقاع في هذه الآيات متوسط الزمن تبعا لتوسط الجملة الموسيقية في الطول، متحدا تبعا لتوحد الأسلوب الموسيقي، مسترسل الروي كجو الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي، وفي بعض الفواصل يبدو ذلك جليا مثل:(أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى)، فلو أنك قلت:" أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة " لاختلت القافية ولتأثر الإيقاع.....

- واللون الثاني من ألوان التناسق في الإيقاع الموسيقي (أن يعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة)[3]، وهذا من أجل مراعاة اتزان الإيقاع في الآيات والفواصل ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قال أفرأيتم ما كُم تَعْبُدُونَ، أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم الأقدمون، فإنّهم عدّو

1. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص : 166.
2. المرجع نفسه، من : 104.
3. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص : 104 .

لِي إِلَّا رَبُّ العالمين الذي خلقني فَهُو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرْ لِي خَطِيئتي يوم الدين﴾ (الشعراء، الأية 75ـ82). في هذه الآيات لم ترد الكلمات بصورتها القياسية (فقد خطفت ياء المتكلم في " يهدين ويسقين ويشفين ويحيين محافظة على حرف القافية مع تعبدون والأقدمون والذين ... ».[1]

• واللون الثالث (أن يبني النسق على نحو يختل إذا قدمت وأخرت فيه، أو عدلت في النظم أي تعديل)[2] ، فنلحظ أن الموسيقي كامنة في التركيب والنسق الذي قام عليه النص القرآني ، بحيث أن التغير في هذا التركيب يخل بهذا النسق وهذا النظام، ومثال ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كهيعص ذكر رحمة رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكريا ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خفِيًا ، قَالَ : رَبِّ إِنِّي وَهَنِ العَظمُ مِني وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا، وَلَمْ أكن بدعاتِكَ رَبِّ شَقيا﴾ (سورة مريم، الأية1،2،3،4)

هذه الآيات جاءت على نسق، بحيث إذا حدث تغيير اختل النسق (فلو حاولت مثلا أن تغير فقط وضع كلمة " مني " فتجعلها سابقة لكلمة العظم : " قال إني وهن مني العظم "،لأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر. ذلك أنها تتوازن مع " إني " في صدر الفقرة " قال رب إني وهن العظم مني) [3]، والقرآن الكريم يحوي الكثير من الأمثلة على وجود الموسيقي ، إن لم نقل إنه قد بني عليها التعبير القرآني.

وتعدد ألوان الإيقاع الموسيقي في القرآن وتنوعها جاء تبعا لتنوع نظام الفواصل والقوافي فيه وقد يتنوع نظام الفواصل والقوافي في السورة الواحدة على نحو ما تجده في " سورة النبأ ومريم وآل عمران "، والإيقاع الموسيقي في القرآن يطلق متناسقاً ومتناسباً مع الجو العام الذي أطلق فيه ، وهذا الإيقاع يتعدد كذلك في السورة الواحدة تبعا لتنوع أجواء السورة وتعددها

1. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص:105.
2. المرجع نفسه، ص:105.
3. نفسه ص:106.

، فعند ما يكون الجو العام جوا سريعا يأتي الإيقاع سريعا قويا، وإن كان بطيئا يأتي الإيقاع رخيا مسترسلاً.

ففي الآيات الأولى من سورة النازعات (تظهر هذه المقطوعة السريعة الحركة، القصيرة الموجهة القوية البنى، وهي منسجمة مع جو مكهرب سريع النبض شديد الارتجاف). [1]

يقول المولى عز و جل : ﴿ والنازعات غرقاً ، والناشطات نشطاً ، والسابحات سبحا ، فالسَّابِقَاتِ سبقاً فالمدبراتِ أَمْراً ، يَوْم تَرجُف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة، أبصارها خاشعة يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أإذا كنَّا عِظَامًا نَخَرَة ؟ قَالُوا : تِلْكَ إذن كرّةٌ خاسرة ، فإنّما هي زجرة واحدة فإذا هم بالسّاهرة﴾ (النازعات،الأية 1ـ14)

الأفق السادس: التناسق في رسم الصورة

إن الصور الفنية في القرآن مرسومة بتناسق فني ساحر، فقد توفرت لها أدق مظاهر التناسق الفني، وألوان التناسق في رسم الصورة ثلاثة هي:

- وحدة الرسم: وأن تكون أجزاء الصورة مؤتلفة مع بعضها من غير تنافر.
- توزيع أجزاء الصورة بعد تناسبها على الرقعة بنسب معينة بحيث لا تتزاحم فيما بينها ولا تفقد تناسقها في مجموعها.
- اللون الذي ترسم به والتدرج في الظلال مما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع.

وبتوفر هذا الألوان الثلاثة للتناسق في التصوير ترسم الصورة باتساق، وتناسق، وهو ما يدل على سمو الإعجاز الفني فيه خاصة وأن وسيلته هي الألفاظ فقط ، ومثال ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، و إلى الجمال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (سورة الغاشية،الأية من17الى20) ، فهذا المشهد الساحر جمع بين السماء والأرض والجبال والجمال، فوحدة الرسم في الصورة تتجلى في

1.سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص:111.

الضخامة وما تلقيه في الحس من استهوال، وأجزاء الصورة تتمثل في السماء والأرض والجبال والجمال، وهذه الأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة، والأرض المبسوطة ، والاتجاه الرأسي بينهما في الجبال المنصوبة والإبل الصاعدة السنام وهذه دقة تأخذها عين المصور المبدع في الأشكال والأحجام[1]، فهذه لوحة طبيعية قاعدتها السماء والأرض، ولا يبرز فيها من الجماد إلا الجبال، ولا يبرز فيها من الأحياء إلا الجمال أليفة الصحراء الفسيحة.

الأفق السابع: التّناسق في رسم إطار الصّورة

كما رسمت الصّورة الفنية بتناسق فني معجز، فإن (الإبداع المعجز لا يقف هنا، إنه في بعض الأحيان يضع للصورة إطارا أو نطاقا للمشهد، فينسق الإطار والنّطاق مع الصورة والمشهد ثم يطلق من حولها الإيقاع الموسيقي الذي يناسب هذا كله)[2] ،ولنأخذ مثالا على هذا من القرآن الكريم حتى يستقيم المعنى، ولنستمع إلى الموسيقي ولننظر إلى هذا الإطار لصورة نجدها في هذه السورة: ﴿ والعاديات ضَبْحاً ، فالمورياتِ قَدْحاً ، فَالمغيرَاتِ صُبْحاً ، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا، فَوَسَطنَ بِهِ جَمَعَاً، إنّ الإنسان لربّه لكنود، وإنّه على ذلك لشهيد، وإنه لحبّ الخير لشديد، أَفَلَا يَعلَمُ إِذَا بُعثرُ ما في القبور وحصّل ما في الصدور، إنّ ربهم بهم يومَئِذ لخبير﴾ (سورة العاديات، الأية 1-7)، فالموسيقي هنا عنيفة شديدة، ونجد فيها خشونة ودمدمة وفرقعة (وهي تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنشئه القبور المبعثرة، والصدور المحصل ما فيها بقوة، وجو الجحود والأثرة، فلما أراد لهذا كله إطارا مناسبا اختاره من الجو الصاخب المعفر فذلك تثيره الخيل الضابحة بأصواتها القادحة بحوافرها المغيرة مع الصباح المثيرة للغبار. [3]

وبالتالي كان الإطار من الصورة والصورة من الإطار، في تنسيق دقيق واختيار جميل.

1. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص:123.
2. المرجع نفسه، ص:125.
3. المرجع نفسه، ص:111.

الأفق الثامن: التناسق في مدة العرض

و هو آخر آفاق التناسق الفني التي اكتشفها سيد قطب، وأبدع في بيانها وهذا الأفق يتمثل في المدة المقررة لبقاء المشهد معروضا على الأنظار في الخيال وهي ضرورية لتأثير المشهد، وللكمال الفني فيه، وقد عني التناسق القرآني بهذا وأداه على أحسن ما يكون، (فبعض المشاهد يمر سريعاً خاطفا يكاد يخطف البصر سرعته ويكاد الخيال نفسه لا يلاحقه، وبعض المشاهد يطول ويطول حتى ليخيل للمرء في بعض الأحيان أنه لن يزول، وبعض هذه المشاهد الطويلة حافل بالحركة ، وبعضها شاخص لا يريم، وكل أولئك يتم تحقيقها لغرض خاص في المشهد يتسق مع الغرض العام للقرآن، ويتم به التناسق في الإخراج أبدع التمام). [1]

وفيما يلي يصور الأسلوب القرآني للناس هذه الحياة الدنيا المغرية الملهية عن الآخرة، ويظهر القصر فيها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ واضْرِبْ لهم مثل الحياةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ (سورة الكهف،الأية 45) ، فاختصر شريط الحياة كله في هذه الجمل القصار في مشاهد ثلاثة متتابعة " ماء أنزلناه من السماء " و " اختلط به نبات الأرض " و " أصبح هشيما تذروه الرياح " والمشهد يعرض عرضا قصيرا خاطفا ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال، ولقد اجتمعت لهذا التعبير كل عناصر الصدق والدقة والجمال، الصدق في عرض أطوار النبات، فلم ينقص شيئا منها لتحقيق الغرض الديني، والدقة لأنه حقق غرض الصورة كاملا، والجمال لأن سرعتها الخاطفة مما ينشط له الخيال).[2]، وكما جاء المشهد هذا قصيرا فقد يأتي المشهد طويلا يناسب بطء العرض من أجل أن تثبت الصور أمام الأنظار وليتم تملي مشاهدها والاستمتاع بها.

ومع آخر أفق من أفاق التناسق الفني (تتكشف للنّاظر في القرآن آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق، فمن نظم فصيح إلى سرد عذب إلى معنى مترابط إلى نسق متسلسل إلى

1. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص:128.
2. المرجع نفسه، ص :129.

لفظ معبر و إلى تعبير مصور، و إلى تصوير مشخص إلى تخييل مجسم إلى موسيقى منغمة إلى اتساق في الأجزاء إلى تناسق في الإطار إلى توافق في الموسيقى إلى افتتان في الإخراج ... و بهذا كله يتم الإبداع و يتحقق الإعجاز).[1]

1. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص142.

المبحث الثاني: سورة الضحى بين التصوير الفني والتفسير البياني

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ (1) وَٱلَّيلِ إِذَا سَجَىٰ (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (3) وَلَلأخِرَةُ خَير لَّكَ مِنَ ٱلأُولَىٰ (4) وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَىٰ (5) أَلَم يَجِدكَ يَتِيما فَاوَىٰ (6) وَوَجَدَكَ ضَالّا فَهَدَىٰ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغنَىٰ (8) فَأَمَّا ٱليَتِيمَ فَلَا تَقهَر (9) وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنهَر (10) وَأَمَّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث (11) ﴾ (سورة الضحى، الأية 1-11)

سورة الضّحى هي سورة مكية بلا خلاف، ويجمع المفسرون على أن سبب النزول لهذه السورة هو إبطاء الوحي واحتباسه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في مكة حتى شق ذلك عليه، وقيل فيما قيل: ودّع محمداً ربّه وقلاه، فجاء الجواب في هذه السورة بأن الله تعالى ما ودّع محمداً وما قلاه.

1. سورة الضحى بين التفسير القرآني والتفسير البياني

أولاً: تفسير سيد قطب.

يفتتح سيد قطب تفسير هذه السور الكريمة بكل ما تحويه من موضوع وتعبير ومشاهد وظلال وإيقاع بأنها اليد الحانية التي تمسح الآلام والمواجع، وتبعث الرضى والأمل.

وفي هذا إشارة إلى سبب النزول فهذه السورة خالصة للنبي صلى الله عليه وسلم هو المخاطب والمعني بالكلام، فحسب الروايات الكثيرة أن الوحي قد انقطع عنه صلى الله عليه وسلم فقال المشركون: ودّع محمدا ربُّه؟ فأنزلت هذه السورة.

ثم ينتقل إلى بيان منزلة الوحي ولقاء جبريل بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول:" والوحي ولقاء جبريل والاتصال بالله، كانت هي زاد الرسول صلى الله عليه وسلم في مشقة الطريق وسقياه في هجير الجحود، وروحه في لأواء التكذيب، وكان صلى الله عليه

وسلم يحيا بها في هذه الهاجرة المحرقة التي يعانيها في النفوس النافرة الشاردة العصية العنيدة، ويعانيها في المكر والكيد والأذى المصبوب على الدعوة، وعلى الإيمان وعلى الهدى من طغاة المشركين".[1]

ومن هنا تبين لنا أهمية الوحي بالنسبة له صلى الله عليه وسلم فهو أُنس لروحه المتعبة وتسلية لما يعانيه من أذى المشركين وتثبيت له في طريق الدعوة الشاق... فحق له **أن** يحزن ويستوحش.

وهذا ما أكده سيد قطب في قوله: "فلما فتر الوحي انقطع عنه الزاد وانحبس عنه وحده بلا زاد، وبلا ري، وبغير ما اعتاد من رائحة الحبيب وهو أمر أشد منه الاحتمال من جميع الوجوه".[2]

فكان نزول هذه السورة فيضاً من الود والرحمة والطمأنينة واليقين فقد قال عز وجل: ما ودّعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى..

وهنا يوضح سيد قطب أن الله تعالى لم يترك نبيه أبداً، وأنه ما قلاه من قبل قط، وما أخلاه من رحمته ورعايته، والدليل على ذلك قوله تعالى: ألم يجدك ربك يتيماً فآوي؟ ووجدك ضالاً فهدى؟ ووجدك عائلاً فأغنى؟.

ثم يمضي موضحا أن هذه الأنسام اللطيفة في عباراتها وإيقاعها متناسقة مع الإطار الكوني الذي وضعت فيه هذه الحقيقة في قوله تعالى: والضحى والليل إذا سجى" فالحنان والرحمة والرضى، هذه المشاعر اللطيفة عبر عنها بنظم لطيف العبارة رقيق اللفظ ووظف لها موسيقى رتيبة الحركات، رقيقة الأصداء وفي ذلك يقول:

1.سيد قطب، في ظلال القرآن، ص39ــ25.

2.المصدر نفسه ص25.

" لقد أطلق التعبير جواً من الحنان اللطيف، والرحمة الوديعة ، والرضى الشامل ، والشجى الشفيف: ما ودّعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ... ألم يجدك يتماً فآوى ؟ ووجدك ضالاً فهدى ؟ ووجدك عائلاً فأغنى ؟ ذلك الحنان . وتلك الرحمة ، وذاك الرضى . وهذا الشجى: تتسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموسيقى السارية في التعبير. الموسيقى الرتيبة الحركات ، الوئيدة الخطوات ، الرقيقة الأصداء ، الشجية الإيقاع .. فلما أراد إطاراً لهذا الحنان اللطيف ، ولهذه الرحمة الوديعة ، ولهذا الرضى الشامل ، ولهذا الشجى الشفيف ، جعل الإطار من الضحى الرائق ، ومن الليل الساجي . أصفى آنين من آونة الليل والنهار . وأشف آنين تسري فيهما التأملات وتتصل الروح بالوجود وخالق الوجود . وتحس بعبادة الكون كله لمبدعه ، وتوجهه لبارئه بالتسبيح والفرح والصفاء . وصورهما في اللفظ المناسب . فالليل هو (الليل إذا سجى) ، لا الليل على إطلاقه بوحشته وظلامه الليل الساجي الذي يرق ويسكن ويصفو ، وتغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف ، والتأمل الوديع ، كجو اليتم والعيلة ثم ينكشف ويجلي مع الضحى الرائق الصافي .. فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار . ويتم التّناسق والاتساق »[1]

إن هذا الإبداع في كمال الجمال ليدل على الصنعة . صنعة الله التي لا تماثلها صنعة ، ولا يتلبس بها تقليد !

وهو أفق من آفاق التناسق الفني في التّصوير القرآني الذي يعتبر من خصائص التّصوير الفني للقرآن، فهو يضع إطاراً للصورة، وينسق الإطار مع الصورة والمشهد ثم يطلق من حولهما الإيقاع الموسيقي الذي يناسب هذا كله.

1 سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص125.

وبعد أن يحيطنا سيد قطب بالموضوع العام الذي تتحدث عنه الآيات الكريمة، ويضعنا في الأجواء النفسية لها نجده بعد ذلك يمضي شارحاً لها آية–آية مستعملاً ما فيها من حكم ومعانٍ وتوجيهات.

فإقسام الله عز وجل بهذين الآيتين:" الضحى والليل"، وما فيهما من صفاء وهدوء إيحاء للنفس بالأنس وتبديد للوحشة والظنون" فهو يربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس يقول سيد قطب:... وكأنما يوحي الله لرسوله صلى الله عليه وسلم منذ مطلع السورة أن ربه أفاض من حوله الأنس في هذا الوجود، وأنه من ثمَّ غير مجفو فيه ولا فريد.[1]

فيؤكد على ذلك مباشرة بقوله: ما ودّعك ربك وما قلى راداً بذلك على مزاعم المشركين الذين أرادوا إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم وبعث القلق والوجع في وجدانه ولماذا" لأنه" ربك" وأنت عبده المنسوب إليه المضاف إلى ربوبيته وهو راعيك وكافلك[2]

فتبين أن المقام هنا مقام عبد ضعيف لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعاً، أمره بيد رب تفضل عليه وما زال يتفضل وينعم عليه، ويدخر له في الآخرة ما هو خير وأعظم من الدنيا، وفي ذلك يقول:"وما غاض معين فضله وفيض عطائه، فإن لك عنده في الآخرة من الحسنى خيراً مما يعطيك منها في الدنيا وللآخرة خير لك من الأولى فهو الخير أولاً وأخيراً".[3]

ثم بين سيد قطب أن سياق السورة يأتي ليذكر النبي صلى الله عليه وسلم بفضل ربه فيما مضى من أمره وهذا التذكير يأتي لبعث الأنس في نفسه واستشعار مودة الله له، حين كان يتيماً فأواه وضالاً فهداه وعائلاً فأغناه وفي ذلك يقول سيد قطب: ألم يجدك يتيماً فآوى ؟ ووجدك ضالاً فهدى ؟ ووجدك عائلاً فأغنى ؟ »

1. سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج30، ص39ـ26.
2. المصدر نفسه، ج30، ص3927.
3. المصدر نفسه، ج30، ص3927.

أنظر في واقع حالك ، وماضي حياتك ... هل ودعك ربك وهل قلاك – حتى قبل أن يعهد إليك بهذا ؟ – ألم تحط يتمك رعايته ؟ ألم تدرك حيرتك هدايته ؟ ألم يغمر فقرك عطاؤه؟ .

لقد ولدت يتيماً فآواك إليه ، وعطف عليك القلوب حتى قلب عمك أبي طالب وهو على غير دينك ! ولقد كنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة ، كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك (خديجة رضي الله عنها) عن أن تحس الفقر ، أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء!

ثم لقد نشأت في جاهلية مضطربة التصورات والعقائد ، منحرفة السلوك والأوضاع إليها . ولكنك لم تكن تجد لك طريقاً واضحاً مطمئناً . لا فيما عند الجاهلية ولا ، فلم : فيما عند أتباع موسى وعيسى الذين حرفوا وبدلوا وانحرفوا وتاهوا .. ثم هداك الله بالأمر الذي أوحى به إليك، وبالمنهج الذي يصلك به.[1]

ثم يأتي بعدها الآيات الأخيرة: فأما اليتم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة حدث.

هنا نجد سيد قطب يربط بين النعم التي ذكر بها الله عز وجل بنيه، وبين ما ينبغي عليه وعلى المسلمين جميعاً، هذه التوجيهات من أجل رعاية اليتيم وكفاية السائل، والتحدث بنعمة الله، فالإسلام قد جاء ليكفل حق الضعيف ويرسي شرعة الله لنشر الحق والعدل في بيئة لا حياة فيها إلا للقوي، يقول سيد قطب.

وهذه التوجيهات إلى إكرام اليتيم والنهي عن قهره وكسر خاطره وإذلاله، وإلى اغناء السائل مع الرفق به والكرامة، كانت كما ذكرنا مراراً من أهم إيحاءات الواقع في البيئة الجاحدة المتكالبة التي لا ترعى حق الضعيف غير قادر على حماية حقه بسيفه حيث رفع الإسلام هذه البيئة بشرعة الله إلى الحق والعدل والإيمان والتقوى، والوقوف عند حدود الله..."[2]

1 سيد قطب ، في ظلال القرآن ،ج30، ص3927.

2. المصدر نفسه، ج30، ص3928.

هنا بيّن أن التحدث بنعمة الله وخاصة نعمة الهدى والإيمان، هي شكل من أشكال شكر الله عز وجل واعتبرها المظهر العملي للشكر.

ثانياً: تفسير فاضل صالح السامرائي، سورة الضحى

بدأ التفسير بذكر سبب نزول السورة والتمثل في إبطاء نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم مما سبب له حزناً وجزعاً عظيماً، هنا يطرح فاضل صالح السامرائي تساؤلاً فيه نوع من الاستغراب عن سبب هذا الجزع، خاصة وأن الوحي تكليف ومشقة، هل هذا الجزع لمالِ أم لدنيا؟

وهنا يحيلنا على آية أخرى من سورة المزمل"إنا" سنلقي عليك قولا ثقيلا"، للتأكيد على مشقة الوحي.

إذاً فرغم العنت وثقل التكليف إلا أنه صلى الله عليه وسلم قد حرص على هذا الأمر الجديد

حيث يقول:" إن في هذا الإبطاء اختبارا للرسول صلى الله عليه وسلم، أهو حريص على هذا الأمر الجديد الذي يترك من أجله راحته، ويلقى من أجله ما يلقى، أم هو يستنفس الصعداء حين يعفيه ربه من هذه المهمة وهذا التكليف، وفي هذا أيضاً درس للدعاة إلى الله ليعينهم على أمر الدعوة، وإن كانوا يلقون في سبيلها ما يلقون من البطش والعنت والأذى".[1]

إذاً في طريق الدّعوة صعبٌ وشاق ولا يثبت فيه من صبر واحتسب، وأيقن يقيناً جازما بصحة ما يدعوا إليه نبياً كان أم إنساناً آخر، راحته وسعادته وهمه الأكبر في سبيله حتى يظهره الله أو يهلك دونه.

ثم ينتقل بعدها إلى تفسير الآيات الكريمة:

1. فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، ص67

" والضحى والليل إذا سجى" فشرح: الضحى بأنه وقت ارتفاع الشمس بعد شروقها،أما سجى: فمعناها سكن وهدأ، مشيراً إلى أن الاسناد هنا مجازي، فالليل لا يسكن بل يسكن ويهدأ الناس فيه، ومن معاني سجى: اشتد ظلامه، وقيل غطى مثلما يسجى الرجل بالثوب ومنه تسحبه الميت أي تغطيته، حسب ما ورد في كتاب روح المعاني كما اعتمد في شرحه على كتاب الكشاف والتفسير الكبير للرازي.

وبعد هذا الشرح بين دلالة المبحث بهذين الأمرين (الضحى، الليل= وبين أن هناك دلالة خاصة بينهما، وأنه ابتدأ بالضحى الذي هو نور الوحي، أما الليل فيمثل انقطاعه وسكونه.

الإمام الرازي في تفسيره لسورة الضحى رسالته صلى الله عليه وسلم، والليل زمان احتباس الوحي فيه[1]

ثم ينتقل بعد ذلك ليبين أن اختار كلمة "سجى" لأنها الأنسب لمعنى الآية وجوّ السّكون، ولم يقل" إذا يغشى" أو إذا يسر.

أما في تفسيره قوله تعالى: ما ودّعك ربّك وما قلى، فإنّه بعد أن يشرح معنى كلمة "ودّع" انطلاقاً من الشعر العربي، وما جاء في كتاب روح المعاني، يخلص إلى أن ودّع من التّوديع الذي يكون بين الأصحاب والمتحابين، وفي هذا إشارة إلى مكانة الرّسول صلّى الله عليه وسلم عند الله عز وجل، وأما القلى فهو البغض، وقد بين أن مفعول" ودّع" قد ذكر مفعوله أما مفعول قلى فقد حذفت منه الكاف الدالة عليه مستنتجاً أن حذفها دلالة على إكرام الله تعالى لنبيّه وفي ذلك يقول: ثم إنّ هذا الحذف من باب التّكريم له صلّى الله عليه وسلّم، فإنّه لم يرد أن يواجهه بنسبة الجفاء إليه.[2] فنسب إليه التّوديع ولم ينسب له الجفاء، واعتبر ذلك من ألطف مواطن الذّكر والحذف، فأكرمه مرّة مع ذكر مفعول التّوديع، وعند حذفه من القلى إكرام له.

1. فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، ص146.

2. المرجع السابق، ج1، ص147

أمّا لفظة"ربّك"، فاعتبر إضافتها إلى المخاطب من أنسب الأمور، حيث قال: واختيار كلمة:"الربّ" وإضافتها إلى المخاطب أنسب شيء للمقام، وأدل على الرّعاية والعناية، فإنّ الربّ هو المربي والمرشد والمالك والسّيد، فكيف يودعك ويقليك وأنت عبده ورسوله وهو سيّدك ومولاك أخرجك من الظّلمة إلى نور الوحي والرّسالة؟.[1]

"وللآخرة خير لك من الأولى" في تفسير هذه الآية ركّز على لفظة " الآخرة" التّي تحتمل عدّة وجوه، وإن كان المعنى المقصود بها هنا ما بعد الموت، ما يقابل الدّنيا، والأكيد أنّ حياة الآخرة خير للنبي صلى الله عليه وسلم، لما أعدّه الله له من الكرامة.

كما تحتمل معنى التّأخر، وفي هذا يورد السّامراني عدة آيات ينطبق عليها هذا المعنى منها قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرّة﴾ (سورة الإسراء، الأية 7). وقوله كذلك: ﴿ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة﴾ (سورة ص، الأية7)

وبعد أن يورد شرح كتاب" البيان في أقسام القرآن" أنوار التنزيل وروح المعاني على أن المعنى هنا عام: أي نهاية أمرك خير من بدايته لا تزال تتزايد قوّة وتتصاعد رفعة.

هذا ما خلص إليها فاضل صالح السامرائي، خاصة أنّ الله تعالى قال: "وللآخرة خير لك من الأولى" ولم يقل الدّنيا، وهذا ليعم الآخرة جميعا سواء ما كان في الدّنيا أم كان في الحياة الآخرة، فكان ما ذكره أعم وأدلّ على الإكرام والبشرى.[2]

"ولسوف يعطيك ربّك فترضى" في هذه الآية حسب تفسير فاضل صالح السامرائي وعد شامل مؤكد أن يعطيه ربه في المستقبل فيرضى.

وهو هنا لم يحّدد نوع العطاء في" يعطيك" بل أطلقه ، ليشمل كل وقت في الدنيا والآخرة.

1. فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1،ص85

2. المصدر نفسه، ص147

كما أطلق"الرضا" ولم يقيده، فلم يقل "ترضى" بكذا ولا عن كذا، وفي هذا تكريم عظيم، فلا أجل ولا أعظم من عطاء الرّب، وإضافة كلمة الرّب إلى ضمير الخطاب فيه من التكريم ما لا يخفى.

كما استعمل لفظ "سوف" ولم يأت بالسين، لتتناسب مع ما ذُكر في الآية السابقة وللآخرة خير لك من الأولى" فجاء بحرف الاستقبال سوف ليؤكد ما ذكره من أن الآخرة خير له من الأولى فلما كانت الآخرة تشمل كل ما يستقبل من عمره في الحياة الدنيا والآخرة، ناسب أن يأتي بحرف الاستقبال سوف ولم يأت بالسين، فإن السين جزء من سوف وهو لم يذكر جزءًا من المستقبل، وإنما ذكره كلّه، فناسب أن يذكر " سوف" وهو الحرف كلّه بإزاء الآخرة، وهي ههنا المستقبل كلّه، وهو تناظر الطريق.[1]

وبما أن الإنسان لا يهنأ بحياته إلاّ إذا عمّ الرضا جميع جوانبها، أطلق الله تعالى لفظ "فترضى" ولم يقيده بشيء لا بمال ولا جاه، أو غير ذلك.

ثم يسترسل فاضل صالح السامرائي بعد ذلك في ذكر النعم التي منّ بها على بنيه من إيوائه بعد اليتم، وهدايته بعد ضلاله عن معرفة الله، وإغنائه بعد فقره.

واعتبر فاضل صالح السامرائي أن هذه الآيات" ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى" لها علاقة بالآية السابقة" ماودعك ربك وما قلى" فهي دليل على أن ربّه ما ودعه وما قلاه، فإذا كان لم يفعل ذلك قبل النبوة، فكيف يفعل ذلك بعدها؟.[2]

وبعد أن يشرحها ويفسرها تفسيراً مبيناً المقاصد الدينية منها ينتقل إلى الآيات الأخيرة" فأما اليتيم فلا تقهر ،وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث" مؤكداً هو كذلك أن النعمة

1. فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، ص148

2. المصدر نفسه ، ص160

هنا عامة سواءً كانت من نعم الدنيا أم من نعم الدين، ومما لا شك فيه أن أعظم هذه النعم هي نعمة النبوة والقرآن، والتحديث بها شكرها وإشاعتها.

وهو الدّرس الذي خلص إليه فاضل صالح السامرائي في آخر السورة وهو " أنه لا بأس أو يحسن تذكر الماضي أو التذكير به وما يتقلب المرء الآن فيه من نعم ليشكر الله عليها وليحافظ عليها ويزداد من فضلها، كما فعل ربنا سبحانه فقد ذكّر نبينا بما كان عليه وما أولى عليه من النعم فإن تذكر أيام العسر والضيق والضلال ونحوهما مما يضيق به المرء مدعاة إلى معاونة المبتلي بها، فيكون بذلك من الشاكرين.

2. تفسير سورة الضحى بين" سيد قطب" و "فاضل صالح السامرائي":

- إذا عقدنا مقارنة بين التّفسيرين نجد أنّ" سـيد " قطب" اعتبر" الوحي" أُنسـا لروح النّبي صـلى الله عليه وسـلم، وزاداً له في طريق الدعوة، فهو فيض من الودّ والرّحمة و الطمأنينة واليقين وبهذا بين منزلة الوحي بالنّسبة له، لذلك فانقطاعه قد سبّب له الوحشة والحزن...
- أما " فاضل صالح السامرائي" فاعتبر انقطاع الوحي عن النّبي صلى الله عليه وسلم اختباراً له، هل سيركن إلى الرّاحة ويرتاح من عبء الدعوة، ويهنأ بحياته بعيداً عن ثقل الدّعوة أم أنّ نور الإيمان قد ملأ قلبه، فلا راحة ولا هدوء حتّى تَنْتَشِرَ دعوةُ الحقّ.
- اعتبر "سـيد قطب" إقسـام الله عز وجل بهذين الآيتين " الضّـحى واللّيل"، وما فيهما من صـفاء وهدوء إيحاء للنفس بالأنس وتبديد للوحشـة والظنون وهو ربط بين ظواهر الكون ومشاعر النفس التي يراد لها أن تهدأ، وتحس بالراحة والسّكينة.
- أمّا فاضـل صـالح السـامرائي فاعتبر أنّ المبحث بالضّـحى واللّيل له دلالة خاصّـة بينهما: فالضّحى هو نور الوحي، أمّا اللّيل فيمثل انقطاعه وسكونه.
- سيد قطب يعتبر حذف "حرف الكاف" من كلمة " قلى" سببه المحافظة على الوزن والفواصل وفي ذلك نورد ما جاء في كتابه "التصـوير الفني" ففي قوله تعالى:" ذلك ما كنا نبغ، فارتدا

على آثارهما قصـصـاً" يقول:" فلو مددت ..... نبغي كما هو القياس لاختل الوزن نوعاً من الاختلال.[1]

- أما فاضـل صـالح السـامرائي فيراه مقصـودا كما سبق ومرّ علينا في كلمة قلى، فلم يقل قلاك تكريماً لنبيّه صلى الله عليه وسلم أن ينسب الجفاء له.
- أمّا في استعمال لفظة" ربّك" فكلاهما اتفقا على أنّ المقام ناسب هذه اللّفظة، فالمقام هنا مقام عبد ضـعيف لا يملك لنفسـه ضـراً ولا نفعا، أمره بيد ربّ كريم متفضّـل، أنعم عليه، ولا يزال ينعم حتى يرضى ويدّخر له في الآخرة ما هو أعظم من الدّنيا.

وفي ذلك يقول فاضل صالح السامرائي: اختيار كلمة "ربّ" أنسب شيء في كل ما مرّ، فإن "الربّ" يطلق في اللّغة على المالك والسّيد القيم والمنعم والربّ بمعنى المصلح، وربّ الشيء إذا أصلحه.[2]

- كلاهما بيّن أنّ تذكير الله تعالى لنبيه بالنّعم التي تفضّل بها عليه، هو من أجل بعث الأنس والتّأكيد على إكرامه له، فالذي لم ينسك قبل نزول الوحي، وتكفّل بك وسخّر لك عباده كيف سيتركك وأنت اليوم تحمل رسالته وتنشر دعوته، وتبلغ وحيه؟.
- كما اعتبر كلّ منهما النّعم الثّلاث الذي وصّاه بها، قابلها بثلاث توجيهات عامّة غير مقتصرة على النّبي صـلى الله عليه وسـلم وحده بل هي للمسـلمين كافة من عدم إيذاء لليتيم أو نه للسـائل، ودعوة للتحدث بنعمة الله علينا، ولعلّ أعظم نعمة تناسـب هذا المقام هي نعمة الهداية، وإن كان مفهوم النّعمة عند فاضـل صـالح السـامرائي مطلقاً، فأيّ نعمة يمنّ الله بها علينا ينبغي علينا شكره عليها والتّحدث بها.

1. سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن، ص106.

2. فاضل صالح السامرائي على طريق التفسير البياني، ص 146

ومن هنا نستنتج أن هناك ملامح للتّفسير البياني عند سيّد قطب توقّف عندها ولم يطل المكوث بها، فقد شغلته صور القرآن وجمالها عن الخوض في معاني الكلمات والألفاظ.

الخاتمة

وفي نهاية بحثنا نخلص إلى ما يلي:

– يعتبر سّيد قطب رائدا من الرّواد المحدثين في دراسة معاني القرآن الكريم، إذ حاول من خلال مؤلفيه" في ظلال القرآن" و"التصـــوير الفني في القرآن"، أن يؤســـس لمنهج جديد متميز في الدراســـات القرآنية، أطلق عليه لاحقاً" المنهج البياني في التفســـير" ويعد ســـيد قطب بشـــهادة الباحثين رائداً للفكر الإسـلامي المعاصـر، ومجدّداً في موضـوعات أسـاسـية في التفسـير، ولعل ذلك راجعٌ إلى اعتماده الأسـلوب الأدبي في التفسـير، حيث نجده في كتابه "التصـوير الفني في القرآن" يحاول استنطاق النّص القرآني في مختلف مستوياته ، وتسليط الضّوء على كل الوسائل اللّغوية من الصّـــوت إلى التّركيب تضـــافراً معجزاً ذا آفاق فنية، جمالية، دلالية، فهو" تصـــوير باللّون، وتصـــوير بالحركة، وتصـــوير بالتّخييل، كما أنّه تصـــوير بالنّغمة تقوم مقام اللّون في التّمثيل، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات، موسيقى السّياق في إبراز صورة من الصّور تتملاها العين والأذن، والحسّ والخيال والفكر والوجدان.

التناســق الفني عند ســيد قطب، يقوم على تخيّر الألفاظ واســتعمال أمسّــها رحماً بالمعنى، وأفصحها في الدلالة عليها وأبلغها في التصوير وأحسنها في النسق وأبدعها سناءً وأكثرها غناءً وأصفاها رونقا..

سـعى سـيد قطب من خلال خاصـيّة التّناسـق الفنّي إلى أن يؤكّد أنَّ القرآن الكريم لم يكن معجزاً بما جاء فيه التّشريع وعلم الغيب... فحسب، بل كان معجزاً أيضـاً بقدرته على العرض البديع و التّنسيق القوي الذّي طال كلّ جزيئات النّص القرآني منه " الصّوت المفرد إلى اللّفظ ..... إلى الجوّ الصّـوتي ..... إلى المشـاهد المتقابلة العرض إلى الوحدة العامة التي لا تخرج منها كل الجزيئات ...دون إغفال لانفعالات المتلقي التي تحرّكها المشاهد بإيقاعها وزمن عرضها".

كل من " سيد قطب" و "فاضل صالح السامرائي" ومن سار على نهجه حاول استقراء القرآن الكريم، وقد كان لنظرية التصوير الفني الأثر البارز على الدراسات الأدبية والنقدية التي جاءت بعده وقد مهّدت لظهور التفسير الأول الذي عُني بإبراز الصّور الجمالية في القرآن هو " في ظلال القرآن" ،وعلى الرغم من وجود كتب أخرى حاولت استنباط هذه الصّور وكشفها وإبرازها إلى الوجود كتفسير " الكشاف"، "الزمخشري"، و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وعلى المنوال ذاته حاول أمين الخولي أن يفسّر القرآن، والسيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمان المعروفة باسم " بنت الشاطئ" في كتابها " التفسير البياني للقرآن الكريم" ومن ثم ظهرت عدّة مؤلفات فاضل صالح السامرائي في التفسير البياني.

وختاماً نقول أنّه ما من كشف أو تجديد في مجال العلم إلاّ وقد سبقته جهود جبّارة ماضية، ولولا جهود السّابقين من العلماء الأجلاء الذّين غاصوا في بحر القرآن الكريم، وأخرجوا لنا أغلى مافيه من لآلئ وكنوز ،لما وُفّق "سيد قطب"و فاضل صالح السامرائي" وغيره من الباحثين في الكشف عن هذه الرؤية المتفردة والمنهج الرائد في تفسير القرآن الكريم...

وفي الختام نتمنى أن يكون بحثنا لبنة متواضعة تفتح آفاقا دراسية أمام الطلبة بغية تعميقها ، وتبيان أهميتها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1- أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضـــوء قضـــية الإعجاز العلمي، مكتبة الخانجي، القاهرة 1990م.

2- بكري الشيخ أمين ،التعبير الفني في القرآن الكريم ،دار العلم للملايين،2004.

3- بلقاسم بغدادي، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

4- بن المثنى أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ت محمد فؤاد ســـزكين، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ط1، ج1، 1954.

5- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط1، علم الكتب، القاهرة، 1993.

6- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957.

7- حسن سعيد، مشاعل في القمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.

8- خير الدين الزركشي الأعلام ط ،11،دار العلم، بيروت ،1995م.

9- زكريا القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبدالمنعم خفاجي، دارالجيل، بيروت، لبنان.

10- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1993.

11- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، بيروت.

12- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1993م.

13- سيد قطب، طفل من القرية، دار الشروق، القاهرة، 1973م.

14- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1978م.

15- سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط7.

16- صـــــلاح عبد الفتاح الخالدي: في ظلال القرآن في الميزان، ط1، دار الشـــــهاب، باتنة، الجزائر 1986م.

17- صـــــلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار الشـــــهاب، باتنة، الجزائر، 1988م.

18- صلاح عبد الفتاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، بدون تاريخ، دار الشهاب، باتنة الجزائر.

19- صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.
20- طه حسين، نقد النثر، المكتبة العلمية ،بيروت،1980 .
21- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط7.
22- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ، على الجسر بين الحياة والموت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.
23- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط7، 2004.
24- عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دارالمعارف، مصر.
25- عباس بيومي عجلان، في البلاغة والأداء الفني، دار المعرفة الجامعية، 1996م.
26- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ مصر القومي، ط2، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1922م.
27- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده و محمد الشنقيطي، مطبعة المنار، القاهرة،.
28- عبد الله عوض الخباص، سيد قطب الأديب الناقد، مكتبة المنار، الأردن.
29- عبدالرحمن حبنكة الميداني البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق،الدار الشامية ،بيروت ، لبنان.1996
30- علي آل موسى ،التدبر الموضوعي في القرآن الكريم دار كميل،لبنان.
31- عمرو بن بحر الكناني الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق: فوزي عطوي، ج1 ،دار صعب،بيروت،1968.
32- فاضل صالح السامرائي، الجهود التفسيرية، دار بغداد الأعظمية، العراق، 2019م.
33- فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، الإمارات، جامعة الشارقة، ط؟؟، 2002م.
34- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية من نصوص القرآن.
35- محمد أبي زهرة، المعجزة الكبرى، القرآن، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1970 م.

36- محمد بن عبد الله الزركشي ،البرهان في علوم القرآن،ت أبو الفضل الدمياطي،دار الحديث،القاهرة،2006.

37- محمد بن علي بن يوسف الجَزَرِيُّ (ابن الجزري)، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

38- محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب المحيط، دار المعارف، بيروت، المجلد

39- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1990م.

40- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1990.

41- محمود الرحبي ،بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم،،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،2010.

42- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية.

43- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف ،ج4، دارالكتاب العربي، بيروت .

44- مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، بدون تاريخ، دار الأندلس، بيروت.

45- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2،ج16، 1999م.

المجلات و الأبحاث:

1- صورية مهمل، سيد قطب مصلحا، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة فرحات عباس سطيف(1996-1997).

2- بكري الشيخ أمين ،التعبير الفني في القرآن الكريم ،دار العلم للملايين،2004.

3- مجلة الذكر(فصلية محكمة)، الدلالة القرآنية بين منهجي التفسير البنائي سورة الضحى مثالا، أحمد جاسم ثاني، السنة الأولى، المجلد الأول، 2022م.

4- مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 17، العدد 1، السنة 2023، ص 949-974، التفسير البياني للقرآن الكريم، النشأة، التأصيل والتجديد، نورالدين باب العياط.

5- بن المثنى أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ت محمد فؤاد ســـزكين، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ط1، ج1، 1954.
6- مجلة العلوم الاجتماعية والإنســـانية، جامعة باتنة، المجلد 19، العدد 39، ديســـمبر 2018م، ص199-112، التفسير البياني عند القدامى والمحدثين، حاجي خولة.
7- ليلى بلخير، ملامح الإعجاز في القصة القرآنية، جامعة الأمير عبد القادر، (1996 - 1997).

الفهرس:

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: محطات في البحث الإعجازي	2
المبحث الأول: تأريخ البحث في الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم	2
تمهيد	2
مرحلة النشأة	3
مرحلة التفسير في عصر التدوين	4
مرحلة بداية التأصيل للتفسير القرآني	9
المبحث الثاني: نظرية التصوير الفني عن سيد قطب	11
مفهوم التصوير عامة	11
مفهوم التصوير عند سيد قطب.	12
قصة سيد قطب مع القرآن الكريم	15
المبحث الثالث: التفسير البياني	20
مفهوم البيان	20
التفسير البياني	21
قواعد المنهج البياني	22
أدوات المفسر البياني	24
رواد التفسير البياني	27
الفصل الثاني: ملامح التفسير البياني من خلال التناسق الفني	30
المبحث الأول: التناسق الفني	31
التناسق الفني	31
آفاق التناسق الفني	32
المبحث الثاني: سورة الضحى بين التصوير الفني والتفسير البياني	44
تفسير سيد قطب	44
تفسير فاضل صالح السامرائي	49

الفهرس:

سورة الضحى بين سيد قطب وفاضل صالح السامرائي	54
خاتمة	57
قائمة المصادر والمراجع	
الفهرس	

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): روباش رتيبة الصفة: طالبة
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم 203870924 والصادرة بتاريخ: 2018/12/24
دائرة أولاد دراج
المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:
ملامح التفسير البياني من خلال نظرية التصوير الفني
عند سيد قطب

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 2024/07/01

إمضاء المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
المجلس الشعبي البلدي
وتفويض منه الموظف
بوقرة العيروك
شوهد على المصادقة على الامضاء
السيد:
بتاريخ: 01 جويلية 2024

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بن حليمة صورية الصفة: طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 102245923 والصادرة بتاريخ: 16.12.07 بدائرة المسيلة
المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي**
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:
ملامح التفسير البياني من خلال مفهوم التصوير الفني عند سيد قطب"

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 2024/07/01

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .